



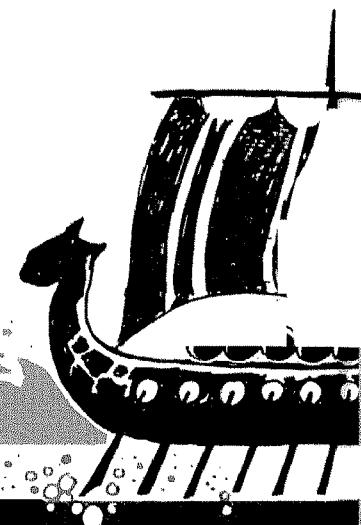
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

السلسلة
التاريخية

النبوءة المبتدأة

في خربة البحر المتوسط

محمد الصغير غانم



0002622



Bibliotheca Alexandrina

التوسيع الفنيقي في غرب البحر المتوسط

**رسالة دبلوم الدراسات العليا
في التاريخ القديم**

**قدمها محمد الصغير غانم
بasher al-daktoor Hisham al-safadi**

**ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - لبنان**

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفوظَةٌ
الطبعة الأولى ١٩٧٩ م
الطبعة الثانية ١٩٨٢ م

 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الحراء - شارع أميل اده - بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ . ب ٦٣١١ / ١١٣ - بيروت - لبنان

الاهداء

إلى أخي الشهيد المساعد حسين غانم ، وإلى أرواح كل شهداء التضحية والكفاح من أبطال جيش وجبهة التحرير الوطني ، الذين دفعوا أرواحهم فداء في سبيل حرية واستقلال وطننا « الجزائر » : إلى كل هؤلاء أنقدم باهداء بكرة انتاجي الفكري ، اعتراضاً مني لهم بالأيدي البيضاء ، وإنحصاراً أمام أرواحهم الظاهرة التي ترف علينا كل لحظة لتحثنا على مواصلة الكفاح والستهر على نفس المبادىء الثورية التي استشهدوا من أجلها .

المؤلف : محمد الصغير غانم

الجزائر في 3 - 1 - 1974

مقدمة

من بين المواضيع الهامة التي لم تحظ بعد بالاهتمام المناسب في أواسط الباحثين والمورخين في جامعاتنا العربية ، موضوع التاريخ القديم الذي ما زال المختصون فيه في وطننا العربي يعدون على الأصابع ، ولا أدرى أكان ذلك عن قصد لأن الماضي دخل في حيز العدم « أم أن » هناك مواضيع اقتصادية وتقنية تتعلق بالحاضر والمستقبل تعطى على مثل هذه الدراسات .

وقد ترتب عن نقص الاهتمام أن الفرد المؤرخون الأجانب بالعمل تقريرياً فأصبحوا يكتبون لنا تاريخنا ويضمونه ما شاعوا من النظريات والأفكار التي قد لا تطابق الواقع في كثير من الأحيان . غير أنها تقبل ذلك ، ونعتمد كتاباتهم في جامعاتنا ومدارسنا معللين بذلك بنزاهة وتكامل البحث العلمي .

كانت هذه الفكرة وغيرها من الأفكار الأخرى تخز في نفسى أثناء دراستي الجامعية عندما كانت تسلم لنا قوائم المصادر والمراجع الهامة التي تتعلق بتاريخنا القديم ، وقد كتب معظمها من طرف المؤرخين الأجانب . إلا أن ذلك كان حافزاً لي على أن اختار هذا الميدان الصعب وأن أتمسّك بالصبر والثابرة علني أستطيع تقديم مساهمة إيجابية فيه وبذلك أكون قد قمت بواجبي الوطني تجاه أبناء أمي . وبعد أن تخرجت من كلية الآداب

بجامعة الجزائر سنة 1969 عرضت موضوع عنوان الرسالة على الأستاذ « هشام الصفدي » فرحب بالفكرة وفضل مشكوراً بقبول الاشراف فضيّبت معه المخطوط وعملت باستمرار على تحقيق الهدف المنشود . ولا اخفى الصعوبات والمشاكل التي صادفتني أثناء بحثي خاصة قلة توفر المصادر والمراجع المتخصصة التي أعاقدتني عن النجاح عملي في وقته المحدد.

وقد حددت بداية البحث بفترة نهاية الألف الثاني وببداية الألف الأول ق . م . وذلك لإيماني العميق بأن هذه الفترة تعد مرحلة إنطلاق حاسمة بالنسبة لتاريخنا القديم فقد عرف الإنسان المغربي فيها الانتقال من عصور ما قبل التاريخ (فترة النيلوليك) إلى العصور التاريخية الباكرة .

وذلك بأخذ الكتابة الأبجدية التي جاء بها التجار الفينيقيون من مواطنهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، والذين يصادف وجودهم نفس الفترة . كما عرفت منطقة المغرب في هذه الحقبة من التاريخ نظام المدينة الدولة (Polis) بالإضافة إلى التنظيم السياسي كان يطبق في المدن الفينيقية الباكرة مثل ليكسوس وأوتيكا ثم قرطاجة فيما بعد .

ومن جهة أخرى فإن أهمية هذه الفترة تعود في رأيي إلى الاحتكاكات والمبادلات السلمية الأولى التي تمت بين الفينيقيين الساميين والسكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة ، مما أعطى للحضارة المغربية دفعة جديدة قوية بقيت آثارها ماثلة حتى القرن السابع الميلادي ، أي حتى مجيء العرب الساميين الذين حملوا معهم مشعل الإسلام والعروبة إلى ربوع المغرب .

وقد قسمت فصول الرسالة إلى خمسة فصول وهي كالتالي :

(1) – خصصت الفصل الأول المدخل إلى التعريف بأصل الفينيقيين والمنطقة الأولى الذي جاؤوا منه ، ثم استعرضت النظريات التي ثبت أصلهم السامي وبالتالي شرحت معنى الكلمة فينيقي (Phoinix) اليونانية الأصل . كذلك تعرضت في نفس الفصل إلى طبيعة منطقة الساحل الفينيقي

الحضرافية ؛ ثم بینت بالتفصیل العوامل المساعدة التي دفعت الفینیقین إلى رکوب البحر . وختمت هذا الفصل بنتائج الاتصالات الحضاریة التي تمت بین سکان مدن الساحل الفینیقی . والدول المتحضرة المجاورة لهم في كل من مصر وبلاد الرافدین ، والذی نتج عنه اختراع الأبجدیة الفینیقیة التي انتشرت فيها بعد عبر أجزاء كثیرة من العالم .

(2) — أما الفصل الثاني فقد استعرضت فيه العوامل المباشرة التي دفعت الفینیقین إلى الهجرة نحو الحوض الغربی للبحر الأیض المتوسط . وقد تطرقـتـ هذهـ العـوـاـمـلـ بـالـتـفـصـیـلـ ،ـ سـوـاءـ ماـ کـانـ عـالـقاـ مـنـهـاـ بـالـطـبـیـعـةـ السـیـاسـیـةـ وـالـاـقـتـصـادـیـةـ لـلـسـاحـلـ السـوـرـیـ .ـ أـوـ ماـ کـانـ مـوـجـودـاـ فـیـ مـنـطـقـةـ الحـوـضـ الغـرـبـیـ للـبـحـرـ الأـیـضـ المـتوـسـطـ .

(3) — كذلك أوضحت في الفصل الثالث عملية التوسع الفینیقی ؛ وبناء المحطات والمستوطنات الباكرة ، وعللت أسباب سبق المستوطنات البعيدة الواقعة على سواحل المحيط الأطلسی (قادس في إسبانيا ، ولیکسوس في أقصى الغرب) لتلك التي أیست على سواحل وسط المغرب . ثم صقلية فيما بعد . وفي نهاية هذا الفصل أبرزت هدف الفینیقین من وراء اقامة الموانئ المزدوجة التي اشتهرت بها بعض منهم الساحلية في الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأیض المتوسط على السواء .

(4) — أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن المستوطنات الفینیقیة في الحوض الغربی للبحر الأیض المتوسط ، وعلاقتها ببعضها من جهة ثم علاقتها بالوطن الأم . وفي هذا الفصل أظهرت من الناحیة السیاسیة تسلیم قرطاجة لزعامة المستوطنات الفینیقیة غرب البحر الأیض المتوسط . كذلك أشرت إلى التحالف الفینیقی الاتروسکی ضد التوسع الأغیریقی في صقلیة والبحر التیرانی . ولم أغفل من الناحیة الاقتتصادیة دور محطات خلیج السرت القرطاجیة مثل صبراتة (Sabratha) وطرابلس (Oea) في

ربط العلاقات التجارية بين وسط أفريقيا الاستوائية عبر الصحراء الكبرى وبين الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كما أشرت إلى جهود القرطاجيين ، والمغاربة في مواصلة الكشوفات البحرية خلال نهاية القرن الخامس ق . م . إلى كل من سواحل أفريقيا الاستوائية الغربية ، وإلى كاسيتريدس (Cassiteredes) وكورنوال (Cornwall) في جنوب بريطانيا .

(٥) — أما الفصل الخامس والأخير فقد رأيت من اللازم على أن أخصصه لدراسة مستوطنة قرطاجة ، وذلك نظراً للدور الهام الذي لعبته هذه المستوطنة في العمل على توسيع الاستيطان الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط .. واعتمدت في تناولي لشرح موضوع طبouغرافية مدينة قرطاجة على المقارنة بين الوثائق الكتابية والمصادر المادية التي أسفرت عنها نتائج أحدث التنقيبات الأثرية تقريباً . وفي نهاية هذا الفصل أشرت إلى الدور الاقتصادي الذي لعبته المدينة منذ نشأتها ، ثم ركزت بصفة خاصة على الصناعة والزراعة .

وقد كان المنهج الذي اعتمدته في البحث منذ البداية ، هو المقارنة بين المصادر المادية والكتابية ، ثم الاستنارة باستنتاجات المؤرخين المحدثين لشرح الجوانب الحضارية والاقتصادية في العلاقات بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه .

والآن وقد أشرفت على إنجاز عملي العلمي هذا أريد أن أشيد بجهود أولئك الذين لم يخلوا علي بتقديم مساعداتهم الفكرية والمعنوية . فأتقدم بالشكر الحزيل إلى الاستاذ المشرف « الدكتور هشام صفدي » الذي ساير فصول الرسالة منذ بدايتها حتى الخاتمة . وكان له الفضل الكبير في توجيهي للعمل على إبراز البحث إلى الوجود بالشكل الذي هو عليه . كما أتوجه بالشكر والامتنان أيضاً إلى رئيس وأساتذة فرع التاريخ الذين كنت بفضل احتكاكـي بهـم في العمل ألقـي تشجيعاً معنوياً يدفعـي

للمضي قدماً في سبيل تأدية رسالتي العلمية . ولا أنسى أيضاً أنأشكر كل مسؤولي وعمال المكتبين الوطنية والجامعة ، ثم المتأحف والمراكم الثقافية بالجزائر العاصمة ، الذين وجدت منهم كل عون وتقدير في تسهيل مهمتي للاطلاع على المصادر والمراجعة الفورية .

وأنا لا أدعى بأن العمل الذي قمت به بلغ الكمال وإنما هو مساهمة أولى متواضعة قد تساعد من يستهويه هذا الميدان الذي لا زال يتنتظر تكاتف جهود أبناء المغرب أنفسهم ليزيموا عنه الغبار الذي علق به منذ أمد طويل . وفي رأيي فإن ذلك لن يتم إلا تحت شعار الثورة الثقافية الشاملة التي تتطلب منا بلورة الأفكار و إعادة النظر في كل شيء ورثناه عن العهد الاستعماري البائد ، ثم صياغة التائج بلساننا العربي حتى تعم المنفعة الفكرية وتتضخم من وراء ذلك الحقائق التاريخية . والله الموفق .

الفَصْلُ الْأُولُ

مِحْمَدَةُ جُفْرَا فِيَّة

أ— التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي :

1— المناخ 2— الثروة النباتية

ب— الفينيقيون في المشرق :

— ممالك المدن الفينيقية 1— جزيرة أرورداد 2— جبيل 3— صيدا 4— صور

ج— الكتابة الفينيقية :

— اللغة الفينيقية 1— أسماء الاعلام 2— النقوش الاهداءية والجنائزية

3— الأدب الفينيقي .

مقدمة جغرافية

نظرآً للأهمية البالغة التي لعبتها البيئة في حياة سكان الساحل الفينيقي ، رأينا من الضروري في بداية هذه الدراسة أن نقدم فكرة عن التكوين الجغرافي وعن الظروف الاجتماعية التي دفعت الفينيقيين إلى ركوب البحر ، والتي جعلت منهم وبالتالي بحارة ماهرين جابوا معظم شواطئ العالم القديم.

يمتد الساحل الفينيقي على وجه التحديد بين خليج الاسكندرية في الشمال وصحراء سيناء في الجنوب . ويحده من الناحية الشرقية سلسلة جبال لبنان الغربية التي تشكل حاجزاً طولانياً يمتد من الشمال إلى الجنوب محاذياً الساحل . وإلى الغرب من الساحل الفينيقي يوجد البحر الأبيض المتوسط الذي استرعى أنظار الفينيقيين فكان حلقة اتصال بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه . ويلاحظ في الشاطئ الفينيقي الذي يبلغ طوله حوالي 440 كلم انعدام الخلجان الطبيعية باستثناء خليج الاسكندرية في الشمال . أما السهل الساحلي فيتصف بأنه ضيق عموماً حتى أن الجبال تكاد تلامس مياه البحر مباشرة في عدة أماكن ، ولا ينفرج هذا الساحل إلا في الشمال والجنوب ثم في بعض الجيوب الصغيرة المنتشرة في الوسط مثل سهل عكار شمال طرابلس ، وسهلي صيدا وصور الدين عرفا في القديم باسم سهل فينيقيا (1) وقد أدى موقع فينيقيا الهام على شواطئ البحر المتوسط الشرقية ، وما امتلكته من ثروات طبيعية كالغابات مثلاً ، أدى إلى تحول هذه المنطقة إلى مركز حساس في العالم القديم جذب أنظار شعوبه . ونتيجة لذلك استولى عليها على التوالي كل من المصريين ،

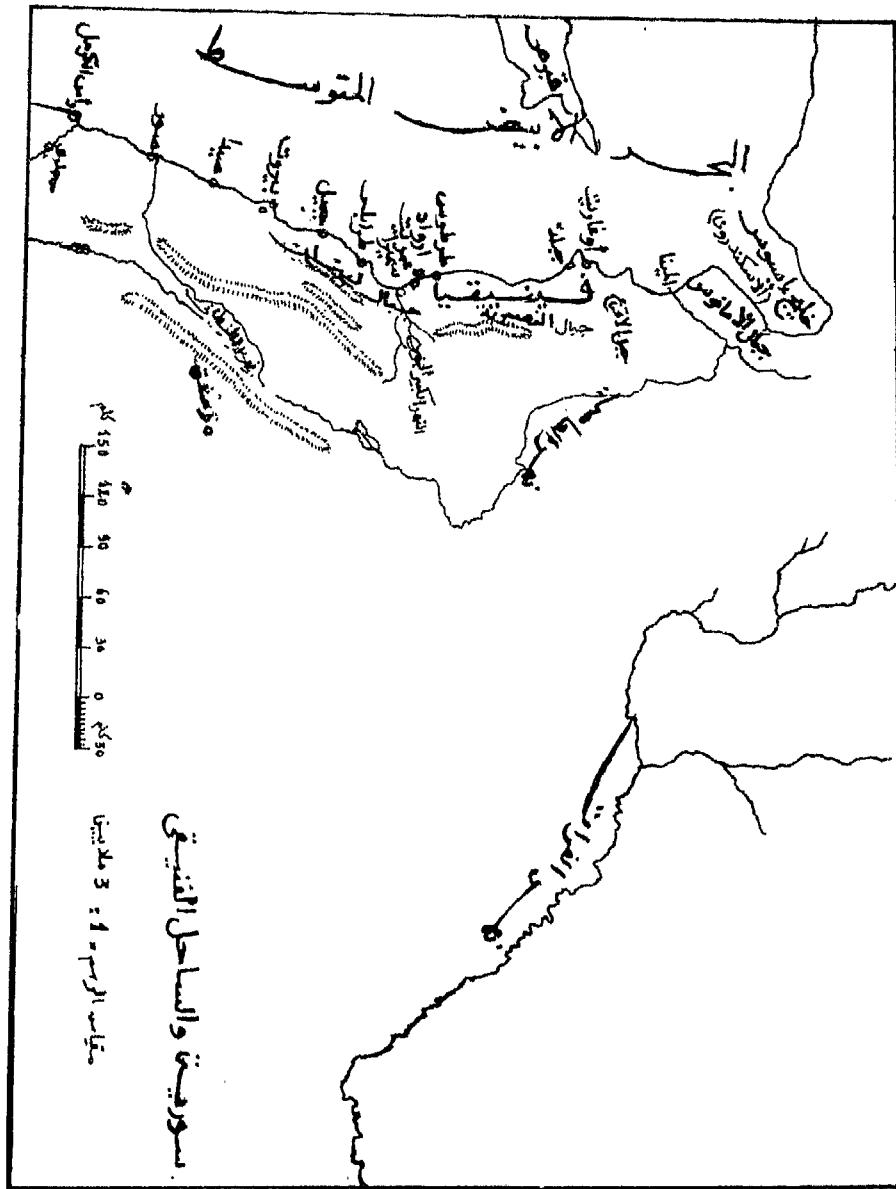
والأشوريين ، والكلدانين ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، ثم عادت من جديد إلى أصحابها في العهد العربي . (أنظر الشكل رقم 1).

أ— التكوين الأرضي لساحل المتوسط الشرقي

تتكون التربة الساحلية من روابض جيرية ، وقد كانت إلى نهاية العصر الثالث الجيولوجي هضبة تعطيها المياه التي انحسرت عنها اثر التصدع الذي أصاب القشرة الأرضية . وقد نتج عن هذا التصدع البحر الأبيض المتوسط . وينذكر الجيولوجيون بأن صخور منطقة الساحل السوري تحتوي على ما يقارب الخمسين نوعاً من الحيوانات البحرية المتحجرة التي يعود بعضها إلى العصر الكريتاسي (2) وللوضع الجغرافي دور كبير في تحديد حياة سكانها وتوزيعهم حسب السهول الزراعية التي امتدت في الشمال قرب مصب النهر الكبير ، والجنوب قرب عكار .

أما فيما بين الشمال والجنوب فان الكتلة الجبلية تكاد تعانق البحر ولا ترك مجالاً للساحل ، الأمر الذي يجعل المواصلات البرية صعبة إن لم يقعها في كثير من الأحيان ، سواء أكان ذلك بين المدن الساحلية نفسها أو بين الساحل والداخل .

وفي هذا الصدد نشير إلى أن الطريق الدولي القادم من دلتا النيل في مصر عبر سيناء وفلسطين يتفرع إلى فرعين عند جبل الكرمل الذي يكاد ينحدر مباشرة في مياه البحر ، فيواصل فرع صغير من هذه الطريق متابعة الساحل لربط المدن الساحلية الفينيقية ببعضها . بينما يتوجه الفرع الثاني نحو الداخل عبر سهول مجدو وأعلى نهر الأردن . وفي مدينة دمشق ينعطف الطريق الداخلي إلى الغرب عبر جبال لبنان الشرقية عند نهر الزبداني ، ثم يواصل سيره داخل سوريا الموجفة متبعاً نهر العاصي حتى الشمال . وعند مدينة قادش ينفذ فرع منه عن طريق النهر الكبير إلى الساحل الفينيقي .



(الشكل رقم ١)

وقد سلك هذا الطريق معظم الغزاة الذين استولوا على بلاد الشام بجيوبهم فترك الكثير منهم آثاره منقوشة على صخرة عند مصب نهر الكلب شمال بيروت (3) وكان الساحل الفنطي عموماً عبارة عن جسر أرضي يربط بين عدة حضارات متباينة في وادي النيل وببلاد ما بين النهرين في العراق ، ثم في شبه الجزيرة العربية ، وفي آسيا الصغرى وبحر إيجه وببلاد الأغريق الام (4) .

وإذا تساءلنا عن المخصصات الطبيعية التي يشتمل عليها الساحل الفنطي فإننا نلجأ تسهيلاً للبحث إلى تقسيمه إلى وحدتين طبيعيتين هما :

1) السهل الساحلي الذي كنا قد أشرنا إليه سابقاً ووصفناه بأنه ضيق في معظمها ما عدا ناحيته الجنوبية والشمالية بالإضافة إلى بعض السهول الصغيرة في الوسط .

2) السلسل الجبلية التي تشكل حاجزاً طولانياً منيعاً يقف بين الساحل والداخل باستثناء بعض التواحي منه في الشمال مثل سهل العمق وفجوة طرابلس .

ويتألف الحاجز الطبيعي من عدة سلاسل جبلية نشير إليها على التوالي: سلسلة جبال الأمانوس في الشمال والتي تكون الحدود الطبيعية بين سوريا وأسيا الصغرى يأتي بعد ذلك الجبل الأقرع (5) الذي يفصله عن السلسلة الأولى سهل العمق الذي يشكل حول مجاري نهر العاصي الأدنى، في حين تمتد جبال النصيريّة حتى النهر الكبير الجنوبي الذي يشكل الحدود السياسية الحالية بين سوريا ولبنان .

وإلى الجنوب من جبال النصيريّة ترتفع جبال لبنان الغربية التي يتشكل سطحها من صخور كلسية رملية . ويوجد في أعلىها قمة القرنة السوداء التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 3088 كما توجد بها غابات الأرز الكثيفة

التي اشتهر بها الساحل الفنلندي منذ أقدم العهود . وما سلسلة جبال الجليل بقسميهما الأعلى والأدنى في الأرضي الفلسطينية إلا امتدادٌ طبيعيٌ لجبال لبنان الغربية رغم المسافة الفاصلة بينهما .

1 - المناخ

ترتب عن وجود الساحل الفنلندي في المنطقة المعتدلة الدافئة بين درجتي عرض 33° - 38° شمال خط الاستواء ، أن كان مناخه بصورة عامة معتملاً .

ومن جهة أخرى فان موقع هذا الساحل أيضاً على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جعل مناخه ينبع مناخ المتوسطي الذي تكاد تنعدم فيه الفوارق الفصلية ، وتنقسم السنة فيه إلى فصلين رئيسيين : شتاء مطر مضطرب بارد وصيف جاف حار . غير أن المسطحات المائية تبعث الرطوبة في الجو ، وتعدل درجة الحرارة على الشاطئ . وتزداد درجة الحرارة في منطقة فنيقيا ابتداء من الغرب إلى الشرق وبالعكس من ذلك فان كميات المطر تتناقص من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب .

أما الرياح السائدة في المنطقة فهي الرياح الغربية الممطرة شتاء ، ثم الباخرة الشرقية في فصل الصيف (6) .

ولا توجد في فنيقيا أنهار دائمة الجريان ، بل أن معظم أنهارها فصلية تفاصيل وتزيد في الفصل المطر ، ثم تجف أو تقارب الحفاف في فصل الصيف باستثناء نهر العاصي والليطاني اللذين ينبعان من الداخل ، ويصبان في البحر الأبيض المتوسط . لذلك لم تلعب الأنهار دوراً كبيراً في الملاحة الداخلية عكس ما هو عليه الحال في مصر والرافدين .

وبصفة عامة فان مناخ الساحل السوري لم يلحقه التغيير بل بقي على ما كان عليه منذ القديم (7).

2 – الثروة النباتية

نستطيع أن نقسم الثروة النباتية في منطقة فنيقية إلى نطاقين هامين هما :

1) السهول الساحلية وسفوح الجبال المطلة لها حتى ارتفاع 1100 م والنباتات السائدة في هذا القسم هي الأشجار المعتادة في سواحل البحر الأبيض المتوسط ، كالكرم وأشجار التين والزيتون ثم النباتات ذات البذور ، مثل القمح والشعير والدخن ، ومختلف الأزهار الربيعية (8). وهناك نوعان من السنديان الذي ينمو في منطقة السفوح الجبلية ، أولهما النوع المعروف بالعفص ذي الأوراق النفظية ، وثانيهما السنديان الأخضر.

إلى جانب ذلك هناك الموز والسفرجل ، ثم الصنوبر بنوعيه الحلبي والبرسي والتوت والزان .

2) نطاق المرتفعات الجبلية الشاهقة التي تغطي الأشجار منها المسافة التي يتراوح ارتفاعها ما بين 1100 م – 1922 . وغالباً ما تتكون أشجار المرتفعات الجبلية من أشجار الأرز ، والشوح ، ثم النباتات ذات الأثمار المخروطية التي تقاوم البرودة الناتجة عن تراكم الثلوج في قسم الجبال مدة فصلي الشتاء الربيع (9) وقد تميزت أشجار الأرز التي تنبت في السلاليس الجبلية الفنية بالكثرة والقدم ، كما أشير اليهافي الكتب الدينية والكتابات القديمة (10) .

وكانت أخشاب الارز من المواد التجارية الهامة التي تبادلتها فنيقية مع شعوب العالم القديم ، ولم تعد هذه الأشجار في الوقت الحالي تلعب نفس الدور الذي كان لها في الماضي ، وذلك لأن قراص معظمها بسبب

التعرية من جهة ، ويد الانسان التي امتدت اليها على مر العصور من جهة أخرى .

ب – الفنقيون في المشرق

تنفق الوثائق الكتابية التي تناولت موضوع أصل الفنقيين وتسميتهم بأن هؤلاء الأقوام ليسوا من جنس السكان المحليين ، وإنما ظهروا في شمال منطقة الملال الخصيب منذ بداية الألف الثالث ق . م ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحل السوري واحتلوا بسكنه الذين يتمون إلى أرومة جنس البحر الأبيض المتوسط (11) .

ومن جهة أخرى فان معظم الكتابات التاريخية أيضاً مجمعة على الأصل السامي للفنقيين . إلا أن الاشكال لا يزال قائماً حول موضوع تحديد هجرة أجداد الفنقيين من موقعهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية ، والطريق الذي سلكوه للوصول إلى شمال بلاد الشام (12) . وسوف نتجنب مناقشة هذا الموضوع حتى لا ندخل في متأهلات خارجة عن نطاق بحثنا . غير أننا مقابل ذلك يمكن أن نشير باختصار إلى بعض الآراء التي نراها ضرورية لازاحة الغموض عن هذا الموضوع .

يرى المؤرخ هيرودوت (Herodote) بأن « الفنقيين ليسوا من أهل البلاد الأصليين ، وإنما نزحوا من البحر الارييري » (13) .

أما استرابون (Strabon) فيشير « بأن سكان الخليج الفارسي أكلدوا له بأنهم يسمون عندهم باسم صيدا ، صور ، وأرواد ، وأراد (Arad) وأن المعابد عندهم تشبه معابد الفنقيين » (14) . وورد في كتاب التوراة الاصحاح العاشر عند ذكر قائمة نسب الشعوب أسماء سام ، وحام ، ويافت أبناء نوح ... كما أشير إلى صيدون كمركز لبلاد كنعان (15) .

أما المؤرخ جوستان (Justin) فيصف الشعب финيقي « بأنه مكون

من الفينيقيين الذين نزحوا من بلادهم الأصلية حين أفرغتهم الزلزال . وقد نزلوا أولاً على ضفاف البحيرة الآشورية ، ثم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . وهنا بنوا مدينة سموها صيدا بسبب وفرة الصيد من السمك ، والفينيقيون يسمون السمك صيدا (16) .

وهناك من المؤرخين المحدثين من يخالف الآراء التي تقدم ذكرها محاولاً اعتبار منطقة الشمال الشرقي من سوريا المهد الأول للساميين الشماليين ثم يدلل على رأيه هذا بالهجرات الأكادية والآشورية ثم البابلية التي خرجت من بلاد الأ Morrisonين متوجهة نحو بلاد ما بين النهرين . غير أن هذا الرأي ما زال يفتقد إلى التأييد (17) .

وبصدد تسمية سكان شبه الجزيرة بالساميين ، فإننا نلاحظ بأن هذه التسمية لغوية أكثر منها عرقية ، وهي نسبة إلى سام بن نوح ولم يعن بالتسمية السامية أو تصبح تصنيفًا جنسياً للأقوام السامية الذين تفرعت لغاتهم عن اللغة السامية إلا في أواخر القرن الثامن عشر عندما شرع العلماء الأوربيون في تصنيف اللغات الشرقية .

أما في القرن التاسع عشر فقد اعني بهذا الموضوع المؤرخ النمساوي شلوتر (Schlozer) الذي أنكب على دراسة اللغات الشرقية وتصنيفها (18) وتعتمد اللغة السامية على الفعل الثلاثي . كما أن هناك زمانين لتصريف الفعل هما الماضي والمضارع . وهناك تشابه كبير بين اللغات السامية في الكلمات الأساسية مثل الضمائر والأسماء التي تدل على القرابة (19) . وقد ضمت التسمية السامية في العصور القديمة كلاً من الأكاديين الذين خرجوا في هجرة كبيرة من شبه الجزيرة العربية في حوالي 3500 ق.م واستقروا في شمال الفرات كمرحلة أولى ، ثم بدأوا يمتهنون بالسكان المحليين من السومريين فأخذوا عنهم مؤهلاتهم الحضارية مثل الزراعة والكتابة وحياة الاستقرار . وفي عهد الملك سargon الأكادي تقدم الأكاديون إلى وسط سهل ما بين النهرين فأسسوا مدينة أكاد ، وأخذوا

الزراعة من السومريين وتعرف الهجرة الثانية التي خرجت من شبه الجزيرة نحو الشمال بالهجرة الآشورية التي استقر أصحابها في شمال بلاد ما بين النهرين في حوالي الألف الثالثق . م (20)، وقد امتدت الدولة الآشورية في أول الأمر حتى كيابادوكيا في وسط الأناضول ..

وفي النصف الأول من الألف الثالثق . م وصلت هجرة الأморيين إلى شمال بلاد الشام وتعني الكلمة أمورو (Amurru) سكان الغرب بالنسبة لغير أنفسهم سكان بلاد ما بين النهرين أي البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات. وهي غير سامية، وقد أطلقها السومريون لأول مرة على مدينة ماري عاصمة الأморيين ثم توسع مدلوها في عهد البابليين فأصبحت تشمل شمال سوريا ووسطها. وسمى البحر الأبيض المتوسط ببحر أمورو (21). وضمن الهجرة الأmorية جاءت الأقوام الكنعانية التي توضعت في سوريا الوسطى ، و الساحلية و فلسطين . وكلمة كنعان تعني في اللغة السامية «الخفاض» وهي مشتقة من فعل كنعن (Kana) ويفيد بالأرض المنخفضة هنا الخفاض الساحل الفينيقي بالنسبة لجبل لبنان التي هي امتداد طبيعي لجبل طوروس في آسيا الصغرى . وبذلك فالتسمية هنا هي عبارة عن مصطلح جغرافي . .

أما التسمية المهنية فقد أطلقها أولاً الحوريون على سكان الساحل السوري من الكنعانيين (Knaggi) فيما بين القرنين 18 – 17 ق . م وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية . وقد اتفقت التسمية الحورية مع التسمية اليونانية (Phoenix) التي تعني هي الأخرى صباغة الأرجوان التي اشتهر بها التجار الفينيقيون في حوالي القرن الثاني عشر ق . م وكانت صباغة الأرجوان تستخرج من محار الميوركس (Murix) الذي يوجد بوفرة على الساحل السوري . ومنذ اطلاق التسمية اليونانية أصبح سكان الساحل السوري يعرفون بالفينيقيين (Les Pheniciens) وسميت المنطقة فениقيا (Phenicia) (22) – وبذلك تكون الكلمة فениقي مرادفة لكلمة كنעני وقد كان الفينيقيون يسمون أنفسهم بالكنعانيين ويدعون بلادهم بأرض

كنعان . وورد في كتاب التوراة « وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تحيي نحو جرار إلى غزة وحينما تحيي نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبويم إلى لاسع » (23).

وقد أشارت رسائل تل العمارنة إلى سكان الساحل الفينيقي باسم كناهي (Kinakhki) أو كناهو (Kinahn). وجاء في كتاب الحضارة الفينيقية « كانت نقوش لاذقة لبنان في عصر أنطيوخوس الرابع 176-164 ق. م) تحمل على ظهرها اللاذقة التي في كنعان » (24).

ممالك المدن الفينيقية

ترتب عن الموقع الاستراتيجي الذي احتله سوريه كمنفذ رئيسي طبيعي يربط بين المسارح التي قامت عليها الحضارات القديمة ، بالإضافة إلى غنى المنطقة بثروتها من الغابات ، أن الامبراطوريات التي قامت بجوارها كانت تعيش في حالة مد وجزر وصراع دائم للفوز بهذه المنطقة. وهذا ما أثر على دوليات مدن الساحل الفينيقي وجعلها عاجزة عن تحقيق الوحدة زيادة على ذلك فإن وجود الحواجز الطبيعية ، التي تجعل المواصلات صعبة عبر الساحل الفينيقي ، فرض على السكان تشكيل حياتهم السياسية طبقاً لطبيعة البلاد الجغرافية . فاتبع الفينيقيون سياسة المدينة الدولة (Polis) (City-State) المتحالفه أو المتفاقرة في السلم والمتحدة في الحرب (25). (الشكل رقم واحد ، ص 14).

ومن أهم المدن الساحلية التي كان لها دور فعال نذكر — ابتداء من الشمال إلى الجنوب مدن أررواد ، وجبيل ثم صيداو صور . بالإضافة إلى مدن أخرى كانت أقل أهمية من تلك التي ذكرناها مثل عمريت ، أوسميرا وعرقة ، وطرابلس ثم بيروت ، إلى غير ذلك من المدن التي ضاعت معالمها ، أو اندثرت أسماؤها . ويشير بعض المؤرخين إلى أن عدد هذه المدن يبلغ حوالي 25 مدينة موزعة على كامل الساحل (26).

ونظراً لأهمية المدن الخمسة الأولى فإننا نخصص دراسة إكل واحدة منها على حدة ابتداء من الشمال .

١ - جزيرة أرواد

تعتبر مدينة أرواد (Aradus) في طليعة المواقع التاريخية الفينيقية الهامة التي تقابلنا إلى الجنوب من مدينة أوغاريت (رأس شمرا) . هذه المدينة القائمة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطئ لعبت دوراً فعالاً قد يكون في المستوى الذي قامت به كل من جبيل وصيدا وصور في الحقل الدولي وقد تألفت مدينة أرواد من حيين منفصلين : بني أحدهما على ساحل البحر ، وعلى بعد ثلاث كيلومترات إلى الجنوب من مدينة طرطوس . بينما قام الحي الثاني على جزيرة صخرية تبعد بيميلين عن شاطئ البحر (٢٧) . وكان لكلا الحيين أهميته واستعمالاته الخاصة : فقد كان الحي الساحلي يستعمل كسوق تجارية يتداول فيها الأرواديون بضائعهم مع سكان الأرياف المجاورة بينما كان الحي البحري أكثر شهرة بفضل أسواره ومرفأيه ويستعمل في أوقات الحرب ، كملجأ لسكان الحيين . وهو بمثابة حصن متين تحميته أسوار ضخمة من الحجارة المنحوتة . ويعزو سوابون تأسيس مدينة أرواد إلى مواطنين صيداويين انطلقوا إلى الشمال فبنوا المدينة (٢٨) وتشير التوراة إلى أن سكان مدينة أرواد من الكنعانيين .

أما رسائل العمارنة فقد أشارت إلى التحالف الذي وقع بين أرواد وصيدا ثم بيروت ضد رعبي حاكم جبيل ، الذي كان مواليًا لمصر . وقد انضمت مدينة أرواد إلى الحيين أثناء معركة قادش حوالي سنة 1288 ق . م (٢٩) . وفي عهد حكم تجلات بلاص دفعت أرواد الجزية إلى الآشوريين وكذلك في عهد أشور ناصر بال ٨٨٤ - ٨٥٩ ق . م الذي كانت تقدم له الشياب والعااج والأخشاب واستمرت في دفع الجزية للآشوريين حتى العهد الفارسي حيث توسيع رقعتها وأصبحت عاصمة لمنطقة الممتدة من اللاذقية شـ. لـ حتى النهر الكبير جنوباً .

ومن جهة أخرى شاركت السفن الاروادية ضمن الاسطول الفارسي خلال الحرب الفارسية الاغريقية التي كانت أبرز معاركها سلاميس (Salamis) سنة 480 ق . م والتي انتهت بهزيمة الاسطول الفارسي .

يلـي أرواد إلى الجنوب مركز فنيقـي آخر هو عمرـيت أي ماراتوس (Maratus) (30). وكذلك مدينة سميرا ، وطرابلـس (Tripolis) (31) وتشير الكتابـات التـاريخـية إلى أن هذه الأـخيرـة كانت قد أسـست حـوالـي القرن السـابـع ق . م وقد كانت عاصـمة الـاتـحاد الـذـي كان يـمـثل صـورـاً وصـيدـاً وأـروـادـاً في العـهـدـ الـفـارـسـيـ . وإـلـىـ الجنـوبـ منـ مدـيـنـةـ طـرـابـلـسـ نـجـدـ مدـيـنـةـ الـبـرـونـ (Byblos) (32).

2 – مدينة جبيل

تحتل مدينة جبيل (Botrys) (33) مكانة هامة على الساحل الفـنيـقيـ إذ تقوم عند مصب نـهـرـ أـدونـيسـ (نهـرـ إـبرـاهـيمـ الـحـالـيـ) وتقـدر المسـافـةـ الفـاـصـلـةـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ بـيـرـوـتـ – أـقـرـبـ مـرـكـزـ فـنـيـقـيـ إـلـىـ جـنـوبـ مـنـهـ – بـحـوـالـيـ 45ـ كـلـمـ . وـتـعـدـ جـبـيـلـ مـنـ أـقـدـمـ المـدـنـ الـتـيـ سـكـنـتـ فـيـ الـعـالـمـ حـيـثـ بـدـأـتـ عـلـاقـتـهاـ التـجـارـيـةـ مـعـ بـلـادـ الـيـونـانـ وـجـزـرـ الـبـحـرـ الـأـيـجـيـ مـنـذـ الـعـهـدـ الـمـيـنـوـيـ . كذلك اشتهرت بـيـنـائـهاـ الـهـامـ الـذـيـ كـانـ تـصـدـرـ مـنـهـ أـخـشـابـ الـأـرـزـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الدـوـلـ ، وـخـاصـةـ مـصـرـ الـتـيـ أـقـامـتـ عـلـاقـاتـ مـعـهـاـ مـنـذـ عـهـدـ الـمـلـكـيـةـ الـقـدـيـمـةـ . وـهـذـاـ مـاـ أـشـارـتـ إـلـيـهـ أـسـطـورـةـ أـزوـريـسـ ، وـمـاـ أـثـبـتـهـ الـأـبـحـاثـ الـأـثـرـيـةـ الـمـنـظـمـةـ الـتـيـ بـدـأـتـ حـوـالـيـ 1921ـ فـيـ مـدـيـنـةـ جـبـيـلـ عـلـىـ يـدـ الـعـالـمـ الـفـرـنـسـيـ مـونـتـيـهـ (P. Montet) ثـمـ زـمـيـلـهـ الـعـالـمـ دـونـانـ (M. Dunanus) حـوـالـيـ سـنـةـ 1926ـ (34) . وـقـدـ أـسـفـرـتـ التـنـقـيـبـاتـ الـتـيـ اـسـتـمـرـتـ حـتـىـ أـمـدـ قـرـيبـ عـنـ الـعـثـورـ عـلـىـ مـعـبـدـ فـيـ قـرـايـنـ تـتـأـلـفـ مـنـ حـلـيـ وـهـدـاـيـاـ مـصـرـيـةـ مـتـنـوـعـةـ وـغـنـيـةـ كـتـبـ عـلـىـ بـعـضـهـاـ أـسـمـاءـ أـصـحـابـهـاـ مـنـ فـرـاعـنـةـ مـصـرـ الـبـاـكـرـينـ . كـمـ عـثـرـ أـيـضـاـ عـلـىـ بـعـضـهـاـ أـسـمـاءـ أـصـحـابـهـاـ مـنـ فـرـاعـنـةـ مـصـرـ الـبـاـكـرـينـ كـمـ عـثـرـ

أيضاً على جمارين وحلي يعود تاريخها إلى حوالي القرن الثامن عشر ق . م (الملكية الوسطى) .

أظهرت الحفريات بأن مدينة جبيل كانت قد تعرضت لحرق مهول في نهاية الألف الثالث ق . م (35). ولعل من أهم وأكبر الاكتشافات الأثرية التي توصلت إليها التنقيبات في جبيل العثور على الأبجدية الفينيقية. فقد وجدت مكتوبة على صخرة بها أسماء بعض ملوك جبيل الذين سبقوها الملك أحيرام مثل شفط بعل ، وايل بعل الخ .. ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى القرن العاشر ق . م . وكان من نتيجة ذلك أن غيرت هذه الكتابة ما سبقوها من نظريات كانت تعيد اختراع الكتابة الأبجدية الفينيقية الأولى إلى منتصف القرن الحادي عشر ق . م.

وبالاستناد إلى نتائج الحفريات التي توصل إليها العمالان المذكوران يمكن التأكيد من أن علاقة مصر بجيبل عرفت فترة ازدهار من الألف الثاني ق . م وخاصة في عهدا لاسزة المصرية الثانية عشرة . وكان أمراء جبيل في هذه الفترة تابعين لمصر ويلقبون بالأمراء النبلاء . وتتضاعف علاقة مصر بجيبل بشكل أكبر عن طريق قصة النبي سنوحى الذي غادر مصر في عهد الملك سنوسرت الأول إلى سوريا هرباً من بطشه وأقام بالقرب من جبيل عدة سنوات ثم عاد إلى بلاده فيما بعد (36). وورد في رسائل تل العمارنة بأن جبيل كانت قد انحازت إلى مصر أثناء صراع هذه الأخيرة مع الحثيين ، بينما كانت معظم المدن الفينيقية الأخرى تناصر الحثيين

ولم تضعف علاقة جبيل بمصر لا في أعقاب غزوات شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت الساحل السوري ودمرت الكثير من المدن الفينيقية ويتمثل دليل الضعف هنا في المعاملة شبه السيئة التي استقبلت بها بعثة المؤذن المصري - آمون (Wen - Amun) التي أرسلت من قبل الملك المصري حريحون في حوالي 1090 للحصول على الأخشاب الالازمة لسفينة الإله آمون المقدسة. وقد تلقت هذه البعثة إهانات كثيرة من طرف الأمير زاكر

بعل حاكم جبيل ، ولم تحصل على بعثتها من الأخشاب إلا بعد دفع مقابل من المال ، وقبول شرط مغادرة المدينة (37).

وهكذا يتضح أن عظمة جبيل ارتبطت إلى حد كبير بصلاتها الاقتصادية والسياسية بمصر . أما مدينة بيروت (بيروتا) فان معلوماتنا عنها في العهود القديمة قليلة . ولا نعرف إلا أنها كانت من بين المراكز الفينيقية التي يعود تأسيسها إلى حوالي القرن الخامس عشر ق . م. وكانت في غالب الأحيان تدور في فلك مصر خاصة في عهد قوتها . وقد دمرت عدة مرات ثم أعيد بناؤها . وفي العهد الروماني اتخذت عاصمة المقاطعة الرومانية في شرق المتوسط .

— 8 — صيدا

يعود تأسيس صيدا (Sidon) إلى العهود الباكرة من توضع الفينيقيين على الساحل السوري أي حوالي الألف الثالث ق . م وفي هذا الصدد نذكر ما أورده المؤرخ جوستان (Justin) في كتابه تروجو بومبي (Trogue - Pompee) « حالما استقر الفينيقيون على أقرب شاطئ بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا بسبب كثرة السمك ... لأن السمك عند الفينيقيين يعتبر صيدا » (38). وقد نتج عن وجود موقع صيدا الاستراتيجي والقائم على رأس ممتد داخل البحر . أن تزعمت مدينة صيدا المدن الفينيقية في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر ق . م حتى بداية القرن الثاني عشر ق . م فغدت من أشهر المراكز الفينيقية الهامة في شرق البحر الأبيض المتوسط واستطاع بحارتها التجار أن يكونوا علاقات تجارية باكرة مع منطقة الدلتا في مصر ، وهناك أسسوا مراكز لهم في منف .

وقد سيطر الصيداويون من جهة أخرى على جزيرة قبرص الغنية بالنحاس . وكانت لهم بها مستوطنات امتدت سيادتهم منها إلى قبرص ورودس ثم جزر بحر إيجه الأخرى حتى وصلوا إلى الساحل اليوناني .

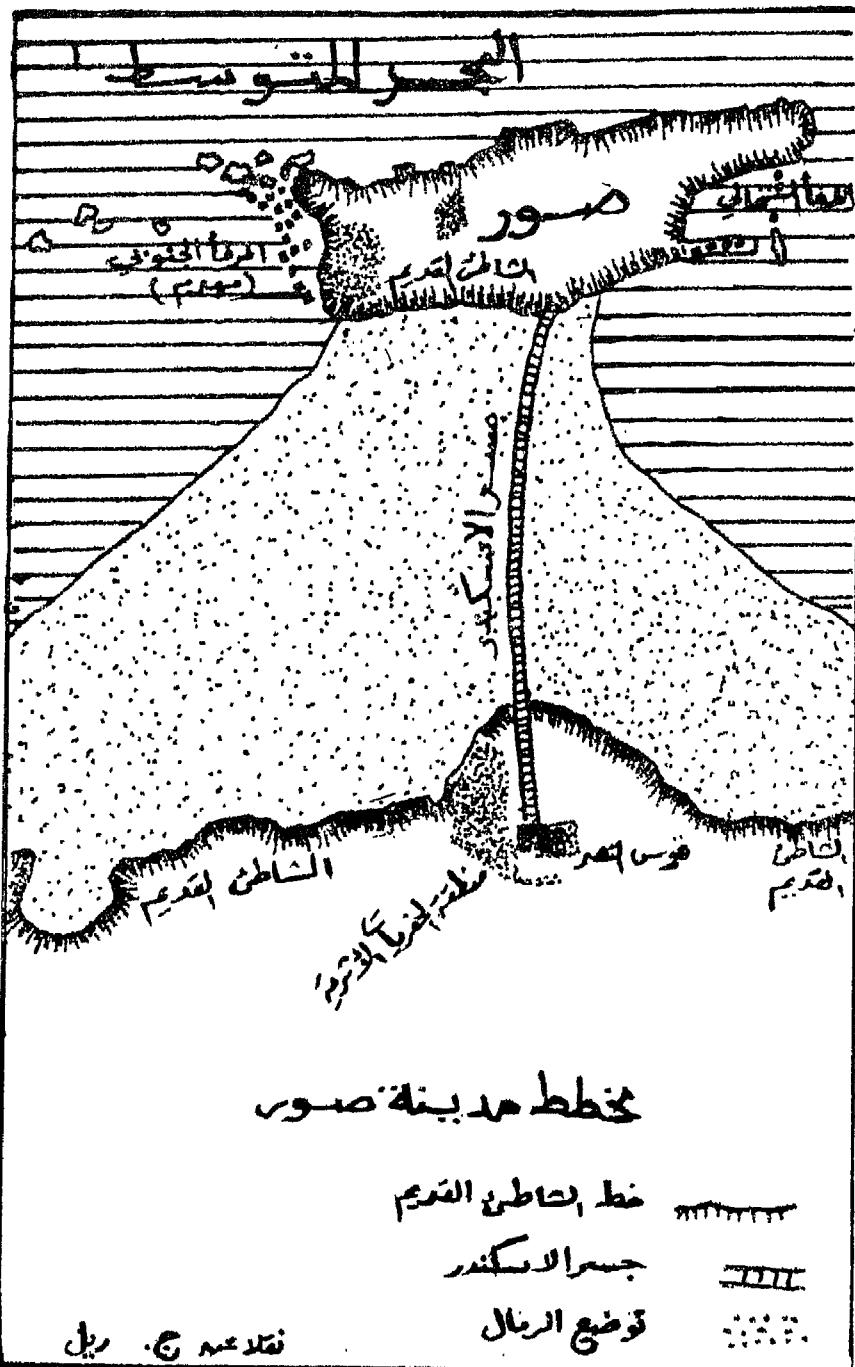
وقد أخذ سكان بلاد اليونان عن التجار الصيداويين طريقة الاسترشاد بالنجوم في أسفارهم البحريّة ، واستعمال المقاييس والموازين » وكانت الكتابة الأبجدية أبرز ما نقلواه عنهم (39). ووقفت صيدا في عهد ازدهارها في وجه الهجومات الآشورية وخاصة في عهد ملوكها العظام : لوبي وآيتوا - بعل وعبدى ملكوتى . واستمرت في ازدهارها ذلك حتى مجىء غزوة شعوب البحر الذين استقرت جماعة الفلسطينيين منهم في الناحية الجنوبية من الساحل الفينيقي (40). وتذكر الكتابات التاريخية أن ملك عسقلان الفلسطيني كان قد هدم صيدا عام 1195 ق . م مما اضطر سكانها إلى الهجرة نحو الشمال والانضمام إلى مدينة صور التي توسيعت فيما بعد على يد هؤلاء المهاجرين الصيداويين .

ولتبين مكانة صيدا التاريخية يحدّر بنا أن نشير إلى التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجريت فيها ، والتي أدت إلى اكتشافات أثرية هامة يعتبر مدفن تابنيت ومحثواه من توأيته حجرية جميلة في طليعتها .

4 - مدينة صور

تعتبر مدينة صور (Tyr) من بين المدن الفينيقية الحامة الواقعة على الساحل الفينيقي . وتتكون من حبين متكملين بني أحدهما على الشاطئ عند مصب نهر القاسمية ، وبني الثاني على جزيرة تبعد عن الشاطئ بحوالى ميل واحد (41). (أنظر الشكل رقم 2).

و قبل أن نشير إلى زعامة صور لمدن الساحل الفينيقي والذي دام من القرن العاشر ق . م حتى القرن الخامس ق. م والدورين السياسي والاقتصادي اللذين قامت بهما في فترة ازدهارها ، لا بد أن نستعرض أولاً الآراء المختلفة التي وردت حول تأسيس المدينة . وفي هذا الصدد نشير إلى أن الأساطير القديمة تذكر بأن مدينة صور كانت قد سكنت في أول الأمر من طرف الآلهة الذين سلموها فيما بعد للعجبارة (42).



(الشكل رقم 2)

أما المؤرخ هيرودوت (Herodite) فيروي بأنه أثناء زيارته لمدينة صور سنة 450 ق. م أكد له كهنتها بأن معبد الإله (ملقارت) إله صور قد بني في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدينة . وكان ذلك حوالي 2300 قبل زيارته لها (43). وعلى ذلك يكون بناء مدينة صور قد تم في حوالي عام 2750 ق. م . وهناك من المؤرخين الذين جاؤوا فيما بعد من يذكر بأن تأسيس مدينة صور كان قد تم على يد سكان صيدا الذين هاجروا مدینتهم بعد تدميرها . غير أن هذا الرأي الأخير لا يمكن أن يتطابق مع الحوادث التاريخية التي تسند إلى مواطني مدينة صور : مثلاً تأسيس المستعمرات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والذي يُؤرخ له بحوالي سنة 1110 ق. م. كبداية لتأسيس مدينة قادس في إسبانيا وليكسوس في الغرب الأقصى إذ أنه لا يعقل أن يتسع لمدينة ناشئة مثل مدينة صور أن تبني نفسها بمثل تلك السرعة ، وأن تترעם المدن الفينيقية في الساحل الفениقي ثم تتشعب المستوطنات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . كل هذا في فترة لا تتجاوز خمسين سنة .

إذن فلا بد أن نشك في تاريخ التأسيس 1195 ق. م. ونأخذه على أنه فترة من فترات الازدهار التي مرت بها مدينة صور في أواخر الألف الثاني ق. م. على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق ذلك (44). ويتجلى الدور الحضاري الذي قام به سكان مدينة صور في قدرتهم على ربط العلاقات الباكرة بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغرقه ، واكتشاف المحيط الأطلسي كذلك نقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي كانت تجاورهم.

وقد امتاز الصوريون بالمهارة كتجار وكبحارة بكمان اسم أو مسالك الطرق التي سلكوها مثلاً جاء في وصف رحلتي حنون وحملن (45). واستطاعت صور بهذه الطريقة أن تحكم في التجارة الدولية لمدة ثلاثة قرون ابتداءً من القرن التاسع حتى القرن السادس قبل الميلاد .

وتتلخص علاقة صور الخارجية في بداية الألف الأول ق. م. في

علاقتها مع العبرانيين في عهد ملوكها حيرام الذي أمد سليمان الحكم بالمهندسين والفنين والعمال لبناء معبد أورشليم ، وقصر الملك سليمان . كما زوده بأشناب الأرز المشهورة من جبال لبنان بالإضافة إلى ذلك أعطاه بخارية ماهرین كانوا أول من وضع النواة الأولى لتأسيس أسطول العبراني في البحر الأحمر . وكان حيرام يتقاضى مقابل ذلك ذهباً ومواد غذائية أخرى من الحبوب والزيت (46). وقد قام الملك حيرام بعدة مشاريع إصلاحية في مدينة صور منها ترميم معبد الإله (ملقارات) وبناء معابد وقصور جديدة . كذلك ربط الجزيرة الصغيرة القرية من جزيرة صور بسور قوي ، وحسن ميناءها التجاري غير أن صور سرعان ما دخلت في حرب مع جيوش الامبراطورية الآشورية سنة 876 ق. م. أثناء اكتساح هذه الأخيرة للساحل الفениقي في عهد الملك آشور ناصر بعل . ورغم المقاومة الشديدة التي أبدتها مدينة صور فانها خضعت في الأخير لدفع الجزية في عهد ملوكها ايتو – بعل الأول واستمرت على ذلك تدفع الجزية في عهد شلمنصر الثالث 860 – 835 ق. م.

أما في عهد شلمنصر الخامس فان صور امتنعت عن دفع الضرائب وقامت بما يشبه الثورة على الحكم الآشوري . مما دعا شلمنصر الخامس إلى جمع أسطول بحري من المدن الفينيقية الأخرى المجاورة لصور محاولاً اخضاعها ، لكنه فشل في آخر الأمر (47).

وبذلك نرى أنه في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني الذي حكم حوالي 722 – 705 ق. م كانت كل مدن الساحل الفينيقي خاضعة للحكم الآشوري ما عدا مدينة صور . ولم تتوقف مجهودات صور في الدفاع عن نفسها فقط بل نراها تذهب إلى أكثر من ذلك فتحاول تأليف حلف من المدن الفينيقية للوقوف في وجه المد الآشوري الذي استفحلاً أمره في عهد الملك سنحريب ، وابنه سرجون الذي تسلم الحكم حوالي 681 ق. م. واستطاع هذا الأخير أن يقضى على هذا الحلف ، ويرغم صور على

دفع الجزية . وعلى ذلك بقيت صور تدفع الجزية للأشوريين حتى سقوط دولتهم حوالي سنة 663 ق.م.

وقد خضعت صور بعد ذلك للكلدانيين خلال القرن السادس ق.م. وفي عهد حيرام الثالث استبدلت صور النظام الملكي بالنظام الجمهوري وأصبح حاكمها يلقب بالسوفيت (Suffete) (48). ثم انتقل هذا النوع من الحكم منها إلى قرطاجة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وخلال العهد الفارسي كانت صور خاصة تابعة إسمياً للفرس وتدفع لهم الجزية . وكان أسطولها في هذه الفترة يضرب به المثل في شرق البحر الأبيض المتوسط وقد شاركت السفن الصورية مع الأسطول الفارسي في غزو بلاد اليونان ، إلا أن معركة سلاميس (Salamis) عام 480 ق.م. كانت لها الضربة الفاصلة عند تحطيم الأسطول الفارسي الفنيري . وبالرغم من ذلك فقد بقيت صور مدينة بحرية من الدرجة الأولى حتى حملة الاسكندر المقدوني عام 332 ق.م. الذي خضعت له كل مدن الساحل الفنيري سلماً ما عدا مدينة صور فانها أوصدت أبواب أسوارها في وجهه مثل ما تعودت أن تفعل ذلك مع الغزاة الأجانب كالأشوريين والفرس الذين وضعوا أيديهم على الساحل الفنيري (49). واكتملت صور بارسال المدaiا إلى الاسكندر معرفة له بحق السيادة الاسمية ودفع الجزية (50). لكن الاسكندر رفض ذلك وأبى إلا أن يستولي على المدينة ، فعمد إلى حمل أنقاض المعابد والأعمدة التي هدمها لبناء جسر يربط به الجزيرة بالليابسة . وقد تحصن سكان صور في أول الأمر في جزيرتهم وتركوه يفعل ما يشاء غير أنهم عندما أحسوا بأن بناء الجسر وصل إلى مكان عميق تكثر به التيارات أرسلوا له سفناً مشتعلة أضرمت النار في المواد الخشبية والأبراج وآلات الحصار التي كانت تتقدم فوق الجسر . فتهدم الجسر من جراء ذلك وأيقن الاسكندر أن النصر لن يتم له ما لم تحاصر جزيرة صور بحرياً فطاف بالمدن الفنيقية الموالية له ، وجمع لهذا الغرض حوالي ثمانين سفينة أضافها إلى سفن قبرص وجزر البحر الأيجي التي كانت موالية

له فاجتمع لدية حوالي 224 مركباً حربياً حاصر بها صور . وبذلك تنسى لعمال البحر أن ينجروا أعمالهم ، فربطت صور باليابسة وتوحدت جهود جيوش الإسكندر البرية والبحرية فاستولى على المدينة عنوة ، بعد أن هدم أسوارها وقتل الكثير من سكانها وقد دام حصار الإسكندر لمدينة صور حوالي سبعة أشهر (51).

واعتباراً من هدم الإسكندر لها ، ظلت مدينة صور مرتبطة باليابسة حتى وقتنا الحاضر (أنظر الشكل رقم 2 ، ص 22) .
إذا تساءلنا عن العوامل التي كانت تكمن وراء قوة صور ، وتوجه سياستها الخارجية تجاه غير أنها فإنه يمكن أن نعيد ذلك إلى عدة أسباب منها :

1) موقع المدينة داخل البحر ومناعة أسوارها التي جعلتها في مأمن من كل الهجمات البرية ، هذه الهجمات التي كان يشنها من حين إلى آخر الآشوريون والكلدانيون والفرس .

2) قوة أسطولها التجاري والغربي جعلاها تكتسب غنى مادياً وقوة حربية ، وبذلك استطاعت أن تغدق الهدايا والعطايا على كل الغزاة الطامعين فيكتفوا بتلقي الأموال الوفيرة في شكل جزية ، وبعد لوعان الاستيلاء عليها .

3) تبعية قرطاجة لصور ومدتها بالاعانات المادية سنوياً في شكل هدايا لعبد الله (ملقارات) جعل مدينة صور معززة الجاذب في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

4) العلاقات الحسنة التي سادت بين صور ومصر لصالحة البلدين كانت هي الأخرى قد شجعت صور وجعلتها تقف في وجه الآشوريين وعلى سبيل المثال نذكر الحلف الذي تزعمته صور بقصد محاولة طرد الجيش الآشوري في عهد الملك سنجريب . فقد كانت مصر تحت حكم

الاسرة الخامسة والعشرين الكوشية قد شاركت في هذا الحلف وهدفها من ذلك هو زحف الاشوريين وكسروا كتامهم قبل بلوغهم حدودها (52).

بالاضافة الى الدوافع التي أشرنا اليها كانت صور قد بلغت ذروتها في الناحية الحضارية والثقافية ويشهد بذلك الصراع السياسي الداخلي الذي كان يدب بين طبقة الارستقراطيين والذي أدى الى هجرة اليسا (Elissa) على اثر انهزام حزبها وضعفه أمام حزب أخيها بغاليون (Pygmalion) فانتقلت الى الحوض الغربي للبحر المتوسط ووضعت أساساً لمدينة جديدة أسمتها قرطاجة . وهذه الاخيرة لعبت دوراً فعالاً مشابهاً لذلك الدور الذي قامت به صور من قبل ان لم يفقهه في بعض الاحيان .

ج – الكتابة الفنية

لقد سبقت الابجدية الفنية بعده كتابات أخرى نذكر منها على سبيل المثال الكتابة التصويرية التي ظهرت في وادي النيل والكتابة السومرية في جنوب الرافدين . وكانت كلتا الكتابتين متعاربتين أو متقاربتين على الأقل في الظهور (53) ، واعتمدت كل من الكتابتين المصرية والسومنية في أول الامر على تصوير الأفكار والأشياء ثم تطورت كل منها بطريقها الخاصة فحلت العلامات الرمزية في كل منها محل التصوير بقصد إزالة الغموض والتعقيد الذي كان يسودها . فمثلاً تطورت الكتابة الهيروغليفية المصرية الى الكتابة الهيرواطيقية حوالي النصف الثاني من الالف الثالث ق. م ثم الى الديموطيقية حوالي 180 ق. م وبحل محل هذه الاخيرة الكتابة اليونانية في القرن الخامس ميلادي عند اعتناق المصريين للمسيحية .

أما الكتابة المسماوية فأنها تطورت هي الأخرى من كتابة تصويرية الى مقاطع تشارك في تكوين الكلمات . وقد انتشرت في معظم أنحاء آسيا الغربية ، فاستعملها الاكاديون والبابليون والعلميون والحوريون ثم الحثيون

و كانت اللغة الاكادية ذات الكتابة المسمارية هي لغة المراسلات الدولية خلال النصف الاول من الالف الثاني ق . م وما بعده ، تدل على ذلك رسائل تل العمارنة . وقد ظهرت الكتابة السينائية في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد (54) .

وفي هذا الصدد نشير الى ما ذكره العالم الاثري البريطاني ، السير فلندرز بيتر (Flinders-Petrie) الذي كان أول من بدأ التنقيب في منطقة سيناء في حوالي 1905 م (55) . ذكر هذا العالم بأنه اكتشف على جوانب مناجم الفيروز القديمة في سرابيط الخادم بسيناء كتابة غريبة كان بعضها مكتوبًا بأحرف تشبه الكتابة الهيروغليفية وبعضها الآخر لا يشبهها .

وقد أطلق على هذه الكتابة اسم الكتابة السينائية (56) . وأثبتت العالم اولبرait (Albright) بأن ظهور الكتابة السينائية يعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وأن الذين اخترعواها كانوا عمالاً أو أسرى ساميين يعملون مع المصريين في معامل الفيروز . وقد بلغ عدد الحروف السينائية حوالي 22 حرفاً ساكناً (57) .

أما تاريخ ظهور الكتابتين الكنعانية والفينيقية على الساحل الفениقي والذي يهمنا في موضوعنا هذا فاننا سنتناقه على ضوء الاكتشافات الاثرية الحديثة في كل من مدن اوغاريت (رأس شمرا الحالية) وجبيل : ففيما يخص مكتشفات رأس شمرا التي بدأت التنقيبات فيها سنة 1929 باشراف العالم الاقري الفرنسي كلوتشيفر ومساعديه . يلاحظ بأن هذا العالم قد توصل في سنة 1930 الى اكتشاف الالواح الادغاريته التي ثبت بعد تحليل كتابتها المسهارية بأن بعض الواحها كانت لغته سامية كنعانية وبعضها الآخر كانت لغته حورية . وقد شارك في تحليل الكتابة الاوغاريتية في عام واحد كل من العلماء باور (H. Bauer) الالماني ودروم (E. Dhorme) وفيرولو (C. Virolleau) الفرنسيين . ثم نشر هذا الاخير (فيدولو) تحليل

هذه الكتابة في مجلة سوريا سنة 1930 (58) . وكانت نتيجة هذه البعثة العلمية في الوصول إلى ضبط أبجدية رأس شمرا التي تتكون من 80 حرفاً منها 26 حرفاً ساكنأً . وتميّز أبجدية رأس شمرا المساربة ببساطتها بالنسبة للكتابة المساربة العادية . ويعود تاريخ ظهورها إلى حوالي القرن الرابع عشر ق. م ، وكانت لا تكتب إلا على الألواح الطينية (59) . كما أن اتجاهها كان من اليسار إلى اليمين . ويشير المؤرخ بليني (Pliny) بأن الأبجدية الفنيقية كانت قد أخذت من الكتابة المساربة التي كانت تكتب بها اللغة الآشورية (60) .

وعلى ضوء الابحاث اللغوية المتعلقة بأصول الكتابة الأبجدية الفنيقية يمكن التوصل بالاستناد إلى الكتابة الأبجدية في سيناء بأن هذه الأبجدية الباكرة انحدرت عن أصول هيروغليفية مصرية . ولكن لا يعرف بعد هل أن هذا الاستنباط أي الاستفادة من أول حرف من الكلمات التصويرية لتحويله إلى حروف أبجدية يعود إلى المصريين أم إلى عمال مناجم سرابيط الخادم في سيناء .

أما العالم اللغوي جاردنر (Gardner) الذي حلّل الكتابة السينائية فقد توصل بعد مقارنات كثيرة إلى أن الفينيقين كانوا قد اعتمدوا في وضع أبجديتهم الأولى على الكتابة السينائية التي هي مزيج بين الكتابة الهيروغليفية . والكتابة الخطية التي هي عبارة عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول (61) .

غير أن هذه الاراء المشعّبة التي أشرنا إليها كان قد أعيد النظر فيها بعد اكتشاف العالم الفرنسي موتي سنة 1923 للكتابة التي وجدت على غطاء تابوت الملك حiram والمكونة من سطرين . وقد حلّل كتابة تابوت الملك حiram العالم ديسو (Dussaud) فأثبتت بعد المقارنة والدراسة أن هذه الكتابة المكونة من 22 حرفاً ساكنأً تختلف عن كل الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمساربة . وهي كتابة محلية فنيقة يعود ظهورها

الى نهاية الالف الثاني ق . م أى حوالي 1000 ق . م (62) . وقد نوه دييسو في كتابته بمجهودات الفينيقيين في هذا الميدان وسبقهم للكل شعوب العالم في اختراع أول أبجدية من نوعها تناقلتها فيما بعد معظم شعوب العالم، وأشار دييسو بأنه يجب على العالم الاعتراف للفينيقيين بما هو من حقهم صدقًا فهم أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية منذ أن تركوا بارادتهم الكتابة المعقّدة التي كانت مستعملة في أيامهم . ومنذ آن ميزوا صوتاً بسيطاً يتبع تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم (63) .

وهناك اختلاف كبير بين الأبجدية التي اكتشفت في جبيل وكتابه رأس شمرا ويتلخص الاختلاف في أن أبجدية تابوت أحيرام كتابة خطية تكتب من اليمين الى اليسار وهي منقوشة على الصخور وتتميز بالبساطة بحيث لا تستدعي كتابتها كتبة متخصصين للقيام بكتابتها وعلى ذلك لم يكتب لها الانشار .

وقد استطاع الفينيقيون خلال أسفارهم التجارية واحتلاكهم بكثير من الشعوب أن ينشروا كتابتهم دون عناء . فقد أحذها عنهم اليونان في حوالي القرن السابع ق . م بعد أن أضافوا اليها حروفًا للحركة . وعن هؤلاء أخذ الآتروسكيون واللاتين كتابتهم . ومن جهة أخرى أخذ الاراميون والبرانيون الكتابة الفينيقية ثم تفرعت عن الكتابة الaramية الكتابة النبطية . وعن هذه الأخيرة تفرعت الكتابة العربية الشهالية (64) .

أما دوناند الذي كان قد اكتشف نقوشاً في جبيل يعود تاريخ ظهورها الى حوالي القرن السابع ق . م فإنه يخالف ما جاء به دييسو ويذهب أن أسماء الحروف الفينيقية لا تشير الا الى مظهرها الشكلي . أما أصلها فيجب أن نبحث عنه في الكتابة الهيروغليفية التي وجدت في جبيل ولم يقض على الأبجدية الفينيقية أو تستبدل بكتابه أخرى الا في العهد اليوناني حينما استبدلها اليونان بكتابتهم اليونانية ثم سار على منوالهم الرومان فيما بعد (65) وقد بقىت الكتابة الفينيقية بعد ذلك تمارس في قرطاجة تحت اسم

الكتابة البوئية حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق . م . ثم بسطت بعد ذلك وأدخلت عليها بعض التغييرات ، وأصبح يطلق عليها الكتابة البوئية الجديدة (Neopunique) واستمرت في التحرير بعد ذلك حتى بداية القرن الرابع للميلاد أو حتى العصر الإسلامي حيث أُسْدِلَّ عليها الستار نهائياً (٨٦) .

اللغة الفينيقية :

ليست لدينا مادة كثيرة عن اللغة الفينيقية وذلك لعدة أسباب منها :

- 1) ضياع التراث اللغوي الفينيقي على يد الغزاة الاجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفينيقي ابتداء من غزو شعوب البحر المدمرة حتى الاحتلال اليوناني للساحل الفينيقي في شرق المتوسط ، وتدمير قرطاجة من طرف الرومان في الحوض الغربي للبحر المتوسط .
- 2) أن الفينيقيين لم يسجلوا لنا آدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء لا تؤثر فيها عوامل الطبيعة مثلاً فعل السومريون والاشوريون في تسجيل ترائهم على الألواح الطينية . ولذلك لم يبق من التراث الفكري الفينيقي إلا ما سجل على المواد الصلبة . مثل الصخور واللوحات المعدنية .
- 3) ان زمن ازدهار الفينيقيين لم يكن طويلاً حتى يسمح لهم بالالتقاط إلى الناحية الأدبية والتاريخية فيسجلوا لنا الكثير منها .
- 4) لأننسى ما للمؤرخين اليونان واللاتينيين والبرتغاليين الذين وصلتانا عن طريقهم أخبار الفينيقيين من تحييز وتحريف للحقائق التاريخية ، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن عدم دراية . ولذلك لعدم معرفتهم اللغة الفينيقية . وعلى ذلك فاننا سنقتصر في مناقشتنا لموضوع اللغة الفينيقية على الآتي :

١ - أسماء الأعلام .

٢ - النقوش الاهدائية .

٣ - الأدب الفنيقي .

٤ - أسماء الأعلام :

تكون اللغة الفениقية فرعاً خاصاً من اللغة الكنعانية ، وتشابه مع اللغات السامية الأخرى في مرونة الألفاظ والتصريف الذي يطأ على مصادرها . غالباً ما يتكون فعلها من ثلاثة أحرف ، وتتفق مع اللغات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تريل شكوك التردد والخطأ في النطق بكلماتها . وعلى هذا المنوال جاءت أسماء الأعلام الفينيقية كما أشار إليها المختصون في هذا الميدان عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخواص مثل الابتهاج أو اظهار الإيمان أو الشفاء على الرب وهناك أسماء أخرى مثل عبد : الذي يعني خادم ، وامه خادمة ، وبعل : سيد . الخ

٥ - النقوش الاهدائية والحنائزية :

تشمل النقوش الاهدائية كل الأشياء المهدأة إلى الرب تقرباً إليه لنيل رضاه والاستعاة به في قضاء المأرب والوقاية من الكوارث . غالباً ما تحتوي صيغة الاهداء هذه على وصف القربان ثم تطلب في الأخير انزال البركة . ومثال نصوص اهداء هذه ما وجد في مالطة وحلله الرّاهب بريلمي بعد الاستعاة بنصوص يونانية مماثلة له وجدت في نفس المكان . ومحنتي النص الآتي : إلى مولانا ملقارب بعل صور : هذا ما يهديه إليك عبدك أبدوشير ، وأنحوه أوسير شمر إبنا أوسير شمر بن أبدوشير لأنّه استجاب لدعائهم فليباركم . وكذلك وجدت نصوص أخرى في قرطاجة مهدأة إلى الآلهة تانية بينه - بعل (Tanit-Pne-Baal) وإلى الإله بعل

حمون. نذكر منها الصفة التالية : « إلى السيدة تانيت بنية – بعل وإلى المولى بعل حمون : هذا ما أهداه بود – ملقارت بن عبد ملقارت بن همليكت (Hamilkat) لأن الآلهة استجابوا لدعائهما ، فليباركوه » .

أما النصوص الجنائزية فأنها غالباً ما تكون مطولة أكثر من الإهادئة وتناول عادة اسم الميت ومكانته تم تطرق إلى مناقبه . وفي الأخير تختتم هذه النصوص باستقرار اللعنات على كل من يحاول النيل من البناء الجنائزي ومثال النصوص الجنائزية النص الذي وجد على غطاء تابوت الملك أحيرام الذي يعود تاريخ كتابته إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م.

التابوت الذي صنعه إيتوبعل ابن أحيرام ملك بيبلوس لأبيه كمسكنه الأبدى « وإذا هاجم بيبلوس ملك أو حاكم أو قائد وعرض بهذا التابوت فليكسر صولجان حكمه وليسقط عرشه الملكي وليهجر السلام بيبلوس ، وأما هو فليمتحن انسان مشرد كتابته » . (67).

3 – الأدب الفينيقي :

إن كل ما نملكه عن الأدب الفينيقي لا يكاد يتجاوز بعض الأساطير القليلة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين ، والمناظرات الأدبية التي تمثل في التزاع السنوي بين الله التبات عليان بعل وخصمه موت (68) . وهناك موازنات من حيث اللغة والأفكار بين الأدب الذي ظهر على الألواح الاوغاريtie وما جاء في التوراة خاصة في الأوزان الشعرية ومن أشهر المؤرخين الفينيقيين الذين وصلتنا أخبارهم الكاهن سانخونياتون (Sanchoniaton) الذي عاش في حوالي القرن الحادي عشر ق. م . وقد اقتبس عنه فيلون الجبيلي في حوالي القرن الأول ميلادي وفي حوالي القرن الرابع ميلادي أحد المؤرخ اليوناني أوزيب والملقب بأبي التاريخ الكensi آراء سانخونياتون عن فيلون ليقتدها (69) .

إلى جانب ما ذكرنا عن الأساطير وأخبار سانحونياتون نشير أيضاً إلى نصوص تقارير رحلتي حنون وحملكن الاستكشافيين . والوصف الشامل للاماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين (70). وقد ترجم التقرير ان من الفنية إلی اليونانية ثم إلی لغات العالم الأخرى . كذلك نذكر أيضاً في ميدان التاريخ والأدب الفني النقش الذي سجل عليه هنبعـل حملاته في إيطاليا ثم أودعه في معبد جونو (Junon) وكان هذا النـقش مزدوج اللغة فنية إيونانية ، ولذلك أخذـه المؤرخ الروماني تـيتـ ليف (Titus Livius) في كتاباته . يضاف إلى كل ما ذكرنا كـتب الموسوعـات الزراعـية التي ألفـها القائد ماغون (Magon) والتي أمر مجلس الشـيوخ الروماني بترجمتها للاستفادة منها في ميدان الزراعة . وقد تأثر بها كل من كاتـون (Caton) وفرـجـيل (Virgile) وغيرـهما .

وخلـاستـة القـول أنـنا نـعتقد مـوقـنـين بـأنـ مـادـة اللـغـة وـالأـدـب الفـنيـقـيـن تـتجاوزـ ما أـشـرـنا إـلـيـهـ فيـ مـوـضـوـعـنـاـ هـذـاـ . إـذـ أـنـهـ لاـ يـعـقـلـ أـنـ يـنـحـصـرـ تـرـاثـ ذـلـكـ الشـعـبـ الـذـيـ اـسـتـطـاعـ أـنـ يـصـنـعـ مـعـجـزـةـ اـخـتـرـاعـ أـوـلـ أـبـجـديـةـ فيـ عـالـمـ فـيـ بـعـضـ الأـسـاطـيـرـ وـالـنـقـشـ الـكـتـابـيـةـ . غـيرـ أـنـ تـضـافـرـ الأـسـبـابـ الـذـيـ أـشـرـتـ إـلـيـهـ فيـ مـسـتـهـلـ كـلـامـيـ عنـ اللـغـةـ هـيـ السـبـبـ الـمـبـاـشـرـ فيـ ضـيـاعـ هـذـاـ التـرـاثـ.

الفَصْلُ الثَّانِي

عوامل التوسيع الفنديقي في البحرين المتوسط

1) العوامل السياسية .

2) العوامل الاقتصادية .

3) العوامل الاجتماعية .

عوامل التوسيع الفينيقي في البحر المتوسط

لمعرفة الأسباب التي دعت الفينيقيين للتوسيع في البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الواقعة ما بين نهاية الألف الثاني وبداية الألف ق . م . يجدر بنا أن نولي جانباً من الاهتمام للعلاقات الدولية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الشرق الأدنى القديم ، لنتعرف على مدى تأثر منطقة سواحل المتوسط الشرقية بها . وسنقتصر في دراستنا لعوامل التوسيع على ثلاثة عوامل رئيسية ، هي : العوامل السياسية والاقتصادية والإجتماعية .

1 – العوامل السياسية :

تعود العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسيع في البحر الأبيض المتوسط ، إلى الصراع السياسي والعسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي بقصد الاستيلاء على سوريا (1) وهذه الدول هي : الدولة المصرية في وادي النيل ، والامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى ، ثم الدولة الآشورية في منطقة وادي الرافدين ، بالإضافة إلى وجود الآراميين في سوريا الداخلية وال עברانيين في فلسطين .

وقد بدأت علاقة الدولة المصرية بالساحل الفينيقي منذ حوالي، الألف الثالث قبل الميلاد وكانت اعتباراً من عصر الملكية القديمة (الأسرة الخامسة بصفة خاصة) . تنتصر على التبادل التجاري حيث كان المصريون

يستوردون الأخشاب من غابات جبال لبنان لاستعمالها في مشاريعهم العمرانية وأبنائهم الدينية ، وتعتبر جبيل أول مدينة فينيقية تلعب دوراً رئيسياً في العلاقات الفينيقية المصرية، وعرفها المصريون باسم كبن (Kupna) أو جبلة (Gadis) وورد في نقوش حجر باليرمو أن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة المصرية قد جلب من لبنان حمولة 40 سفينة من الأخشاب لاستعمالها في بناء هرمته في دهشور (2).

وكان بجبيل في عهد الملكية القديمة ، جالية مصرية تعمل على تنظيم العلاقات التجارية . ويعزز هذا الرأي الآثار المتبقية من جدران المعبد المصري الذي عثر عليه في جبيل والذي كتبت على أحجار أسس بنائه أسماء بعض ملوك الدولة القديمة (3) وتوضح علاقة الساحل السوري بالملكية المصرية المتوسطة من خلال المدaiا الجنائزية التي عثر عليها في قبور أمراء مدينة جبيل والعائدة إلى عهدي أمممحات الثالث والرابع 1792 – 1850 (4) .

أما في مصر فالإشارة إلى العلاقات السامية المصرية تلمسها في رسوم مقابر بني حسن شمال تل العمارنة . وأيضاً تمثل في التعاون الجدي في استغلال مناجم النحاس والفيروز في شبه جزيرة سيناء الذي تم خضوعه اختراع الكتابة السينائية من طراف الساميين (5) غير أن علاقة مصر بالساحل السوري انتابها شيء من التغيير بعد طرد المصريين للهكسوس في أواخر القرن السادس عشر ق. م. إذ تحولت من علاقة تجارية إلى احتلال عسكري رافقه نفوذ سياسي . وبذلك أصبحت فنيقيا تمثل حدوداً أمامية للدفاع عن مصر ضد هجمات الأجانب الذين كانوا يسلكون الطريق الدولي عبر الساحل الفينيكي للدخول إلى مصر وتهديد أمنها وسلامتها .

وقد توطدت السيادة السياسية والعسكرية المصرية في فنيقيا في عهد الملك تحونمس الثالث 1490 – 1436 م ، وذلك لنشاطه المتزايد في الاستيلاء على المدن الفينيقية الواحدة تلو الأخرى ، ويعتقد بأن حملات

تحوتمن الثالث الحربي على سوريا قد بلغت حوالي ست عشرة حملة قضى فيها على تحالف 350 أميرًا كما وسع آفاق النفوذ المصري حتى النهر الكبير الشمالي . واستولى على عدة مدن هامة مثل مجدو في فلسطين وأرداد ، وسميرا في شمال الساحل الفينيقي (8) . وقد حاول تحوتمن أن يقضي على المؤامرات السياسية التي كان يحيكها أمراء المدن الفينيقية ضد الوجود المصري بطرق سياسية فكان يأخذ أبناء هؤلاء الأمراء إلى مصر ويعلمهم مع أبنائه ثم يربّيهما في قصره حتى إذ كبروا أعادهم إلى وطنهم ليحلوا محل أبيائهم محافظين على ولائهم للفرعون المصري . إلا أن هذه السياسة لم تدم طويلاً بعد وفاة تحوتمن الثالث وذلك لأن منطقة سوريا كانت في نهاية الألف الثاني عبارة عن فسيفساء من الشعوب المختلفة الاتجاهات . ولذلك أصبحت مصر لا تهم بالنفوذ السياسي بقدر ما تهم بالنفوذ الاقتصادي المتمثل في الحصول على الجزية وتأمين حدودها . وقد ترك تحوتمن أخبار انتصاراته في فنيقيا مسجلة على معبده في طيبة وظل نفوذه مصر قوياً في فنيقيا بعد وفاة تحوتمن الثالث وتولية ابنه امنحوتب الثاني ثم حفيده تحوتمن الرابع ولم يضعف هذا النفوذ إلا في عهد امنحوتب الرابع (اختواتون) 1371 - 1358 ق . م. الذي انشغل عن السياسة بالأمور الدينية (7)

وقد استغل الشيوخ في آسيا الصغرى فترة اشغال مصر فقدموا لبسط نفوذهم السياسي على شمال سوريا بعد أن استمالوا عدداً كبيراً من أمرائها الاموريين والفينقيين . وتعود الاتصالات الأولى بين الفينقيين والدولة الخشية إلى عهد الملك الحبي شوبيلوليموا الذي حكم من حوالي 1380 - 1355 ق . م. والذي توسيط في عهده الدولة الخشية على حساب مالك المدن الكنعانية الشمالية ابتداءً من مدينة أوغاريت شمالاً حتى جبيل جنوباً وقد كان العاهل الحبي المشار إليه على درجة كبيرة من الدهاء السياسي بحيث استطاع أن يؤليب معظم ممالك المدن في سوريا الداخلية على النفوذ المصري ويسعى لاستئثارها إلى جانبها وفق ما تذكره « مراسلات رأس

شمراً» ووثائق مراسلات تل العمارنة . وقد بقي الساحل الفينيقي مسرحاً للصراع بين الحثيين والمصريين ، حيث كان كل منهما يهدف إلى السيطرة على أكبر جزء منه . وأدى هذا الصراع في الأخير إلى الاصطدام المباشر في معركة قادش سنة 1296 ق.م. بين الحثيين المصري بقيادة رمسيس الثاني والتحالف الآموري الحثي بقيادة مواتاللي (Muwatalli) وقد ادعى كل من القائدين أن النصر كان حليفه (8).

وفي سنة 1280 ق. م. عقدت أول معاهدة عدم اعتداء وتصالح بين المصريين والثعبيين بعد أن قسموا الساحل السوري إلى منطقتين نفوذ الشمالي تحت النفوذ الحثي ، والجنوبي تحت النفوذ الاسمي المصري (9). وقد بقي هذا التقسيم مستمراً حتى غزو شعوب البحر التي اندفعت في بداية القرن الثاني عشر ق.م. فقضت على الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى ، وهدمت عاصمتها بوغازكوي (حاتوشة) ثم تابعت الغزو نحو الساحل الفينيقي فدمرت مدنه الكبيرة مثل أوغاريت ، وبذلك جعلت حدًّا للنفوذ المصري . وقد تابعت شعوب البحر توغلها إلى فلسطين عبر الطريق الداخلي ، وهناك اصطدمت بقوات رمسيس الثالث عند حدود مصر ، واستطاع الملك المصري ردها بعد جهود كبيرة . وكان فرع من شعوب البحر يعرف باسم الفلسطر (Philister) استوطن المنطقة الممتدة ما بين غزة جنوباً وجبل الكرمل شمالاً ، وخاصة في المدن الخمسة الموزعة على ساحل المنطقة التي عرفت فيها بعد باسم فلسطين نسبة إلى الفلسطر (10).

أعقب غزو شعوب البحر المدمرة فراغ سياسي في منطقة الساحل الفينيقي استطاعت أثناءه بعض مدن الممالك الفينيقية أن تستعيد أنفاسها وتزدهر بسرعة فائقة (11) . وضمن ممالك المدن المزدهرة كانت مدينة صور ، وصيدا وجبيل . غير أن مدينة صيدا كانت قد هدمت على يد ملك عسقلان الفلسطيني ، وانضم سكانها إلى مدينة صور التي تسلمت زعامة المدن الفينيقية في هذه الفترة . وازدهرت تجارة صور البحرية لأن

أنتار سكانها اتجهت إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية بقصد تنمية تجاراتها والحصول على المواد الخام والمعادن الثمينة التي تفتقد إليها في الساحل الفينيقي .

لم تقتصر العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسيع في البحر المتوسط على الصراع المصري الحلي أو مجيء غزوة شعوب البحر المدمرة ، بل كانت فنيقياً أيضاً تعاني من جيرانها في الداخل كالآشوريين والأراميين والبربريين والفلسطينيين وقد بدأ نفوذ الدولة الآشورية يظهر في المنطقة بعد القضاء على الدولة الخشية التي كانت تحول دون توسيعهم نحو الغرب (12) وازداد النفوذ الآشوري قوة في عهد الملك تجلات فلاسر الأول الذي يعتقد بأنه غزا سوريا وبلاد الحشين في حوالي 1094 ق.م. وادعى بأنه احتل أموره وأدخل مدن جبيل وأرواد وصور الفينيقية ضمن المدن التي تدين له بالولاء . تم أمر بقطع أخشاب الأرض وحملها إلى بلاد ما بين النهرين لاستعمالها في بناء المعابد وفي عهد خليفةه أشور ناصر بعل الثاني الذي حكم حوالي 884 – 859 ق.م. خضعت كل المدن الفينيقية إلى الآشوريين غير أن خصوصها كان مؤقتاً . حتى أنها عندما أحست بالقوة في نفسها تجمعت في معركة قرقر سنة 853 ق.م. محاولة الخروج عن السيطرة الآشورية فتصدى لها التحالف شملناصر الثالث 859 – 824 ق. م. وحطمه ولكنه لم يسيطر سيطرة تامة على الساحل الفينيقي . كما ادعى في كتابته الأثرية التي تركها (13). وقد أرغمت المدن الفينيقية فيما بعد على دفع الجزية للآشوريين في عهد تجلات فلاسر الثالث 745 – 727 ق.م. وابنه شملناصر الخامس الذين أعادا للدولة الآشورية اعتبارها في منطقة الساحل الفينيقي .

ويلاحظ بأنه إلى جانب الزحف الآشوري على الساحل الفينيقي كانت هناك بعض الشعوب السامية الأخرى التي كانت تسكن منطقة سوريا الداخلية وكان لها بعض التأثيرات على التوسيع الفينيقي في

البحر الأبيض المتوسط . ومن هذه الشعوب نذكر الآراميين الذين نافسوا финикиين في التجارة البرية مع بلاد ما بين النهرين . وكانت عاصمتهم دمشق مركزاً تجارياً هاماً شبيهاً بمدينة صور على الساحل финيقي (14). وفي الناحية الجنوبيّة الداخلية من سوريا كان العبرانيون يتطلعون إلى أحد مكانتهم على الشاطئ финيقي خاصّة في عهد داود وسليمان رغم صداقتهم للملك أحيرام في القرن العاشر ق. م. (15).

كل هذه الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة التي كانت سائدة في شرق البحر الأبيض المتوسط سمحت لفينيكيين بأن يستغلوا ضعف البحرية الاغريقية التي تداعت عقب غزو شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر ق. م. وانطلق финيكيون بعد ذلك إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لبناء مستوطنات تجارية بعيدة عن الصراع الذي كان يشغل جزءاً من الشرقي (16). وقد اختار финيكيون الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط لوجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور وضعف القوة الحربيّة لديهم . وهذا الشيء يتناسب مع الروح التجاريّة финيقيّة التي كانت تتزع إلى العلاقات السلميّة حتى يتوفّر لها المجال لتنفيذ أغراضها التجاريّة (17).

2 — العوامل الاقتصاديّة :

ترتبط العوامل الاقتصاديّة للتّوسيع финيقي ارتباطاً وثيقاً بالعوامل السياسيّة ذلك أن كلا العاملين يتأثّر بالأوضاع الطبيعيّة والبشرية التي كانت تحيط بمنطقة الساحل финيقي ، فقد أدت قلة مساحة الأرض الزراعيّة في الساحل финيقي إلى تحويل اتجاه السكان من الاعتماد على الزراعة مثل جيرانهم في وادي النيل وببلاد الرافدين – إلى الاعتماد على التجارة البحريّة والبرية . وقد ساعد финيكيين على احتراف التجارة أسباب عديدة نذكر منها :

١) مواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوجلة داخل البحر ، وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل . وهذا ما وفر لهم وجود موانئ طبيعية وأحواض تصلح لبناء السفن .

٢) توفر الأخشاب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان على مر التاريخ ساعدتهم على احتراف صناعة الأخشاب وبناء السفن بصفة خاصة

٣) تحكم الساحل الفنيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء ويربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وأسيا الصغرى وببلاد الرافدين (١٨).

وكما ذكرنا سابقاً بدأت علاقة الفينيقيين التجارية بسكان وادي النيل منذ ألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هناك جالية مصرية مقيمة في جبيل للمساعدة على تسهيل الأعمال التجارية بين فنيقيا ومصر (١٩). وأهم البضائع التجارية التي تصدر من فنيقيا إلى مصر ، الأخشاب والثياب الارجوانية والخمور والزيوت ، وقد كانت هذه الأخيرة تستعمل للتحنيط . كما كان الفينيقيون يستوردون من مصر مقابل ذلك الذهب ، والمصنوعات المعدنية ، ومادة الكتابة (أوراق البردى) وتدل نقوش معبد الملك ساحورع في أبوصير على مدى توطيد العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا في عهد الاسرة الخامسة المصرية حوالي ٢٤٨٠ - ٢٣٥٠ ق. م. (٢٠) . وكان الفينيقيون يعملون كوسطاء تجاريين في إيصال بضائع دول شرق المتوسط إلى الشعوب التي كانت في حاجة إليها في جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الغربية . وسرعان ما قلدوا هذه الصناعات فأصبحت لهم بذلك شهرة صناعية خاصة في الثياب ذات اللون الارجوانى التي انفردوا بصناعتها ، وصناعة الحلبي والزجاج الشفاف . ومعظم هذه الصناعات المحلية ازدهرت في فنيقيا ازدهاراً كلياً في فترة الاستقلال الممتدة من أواخر القرن الثاني عشر ق.م. حتى القرن الثامن ق.م. (٢١).

وقد نتج عن الازدهار الصناعي أن نشطت التجارة البحرية الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط ، واحتكر الفينيقيون طرقها ، ثم وجهوا عنايتهم لدراسة أصول الملاحة البحرية معتمدين في ذلك على بر اعتمتهم في معرفة الطرق البحرية التي كانوا يكتمون سرها ، أو يزورون حقائقها في بعض الأحيان حتى لا ينافسهم في ذلك تجارة الشعوب البحرية الأخرى . ونظرًا لاعتماد الصناعة الفينيقية على مواد خام ، لم يكن بعضها متوفراً في فنيقيا . فأنفسهم كانوا يبحرون إلى الأفاق البعيدة في طلب هذه المواد التي كان بعضها متوفراً في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل خامات الفضة والنحاس التي كانت مناجمتها موجودة في ترشيش (Tartessus) باسبانيا ، والعاج والجلود للحيوانات ثم العبيد وتبير الذهب بأفريقيا (22). وقد كانت ضرورة حصولهم على المواد الخام التي أشرنا إليها وبيع المستوجات المصنعة تتطلبان إيجاد أسواق ومحطات تجارية يتصل من خلالها الفينيقيون بالسكان المحليين لتنفيذ عمليات البيع والشراء ، التي كانت تم عن طريق المقايضة . ومن أجل تنفيذ هذا الغرض أسس الفينيقيون عدة محطات تجارية في كل من قبرص ، ورودس ، وصقلية ثم سردينيا ، واسبانيا والمغرب . وقد ترتب عن تأسيس محطة قادس (Gubla) على ضفة خليج النهر الكبير وبجنوب غرب أسبانيا . اكتشاف المحيط الأطلسي من قبل التجار والبحارة الفينيقيين وصلوا فيما بعد عن طريق إلى جزر كاسيتريليس (Casseteriades) في الشمال بالقرب من جنوب بريطانيا لنقل معدني القصدير والرصاص (23).

ومن جهة أخرى يذكر ستابيون بأن سكان جزر كاسيتريليس (جزر القصدير) كانوا يبادلون موادهم الخام بالمخزف والملح والأواني النحاسية (24). وقد رأى الفينيقيون بأن مستوى قادس لا يمكن أن تزدهر أو يسهل الاتصال بها ما لم تكن هناك مستوطنات أخرى بالقرب منها على الشاطئ الذي يربط بينها وبين فنيقيا الأأم . ولذلك نرى الفينيقيين يؤسسون ليكسوس (Lixus) في القرن الحادي عشر ق.م. على الشاطئ

الغربي لبلاد المغرب وكذلك مدينة أوتيكا (Utica) على خليج تونس ثم يتبعون هذين المستوطنتين في بداية الألف الأول ق.م. ببقية المستوطنات والمحطات الأخرى التي وزعت توزيعاً ماهراً على كل شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط . وقد أدى تأسيس المحطات والمستوطنات المشار إليها إلى تشجيع هجرة الفينيقيين إلى الحوض للبحر المتوسط وامتزاجهم بالسكان المحليين وكونوا المجتمع القرطاجي فيها بعد (25).

وخلاصة القول يمكن أن نقول بأن السعي وراء الأرباح التجارية والرغبة في الحصول على خامات المعادن الثمينة من إسبانيا وأفريقيا مضافة إلى التأثيرات السياسية والبشرية التي كانت تحيط بالساحل الفينيقي هي الأسباب الرئيسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في غرب البحر الأبيض المتوسط (26).

٣- العوامل الاجتماعية :

لم يعرف الفينيقيون الوحدة السياسية في فترات كثيرة من تاريخهم حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي فرضته عليهم عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها . وقد ترجم من أتباع سياسة المدينة الدولة أن سادت التزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية وكثير التنافس بين الأمراء على الحكم ، مما جعل الساحل الفينيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة ، غير أن التزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية كانت لا تكتسي طابع العنف مثلما كان يقع بين المدن الاغريقية التي غالباً ما كانت التزاعات الداخلية بينها تؤدي إلى حروب طاحنة تستنزف فيها امكانياتها البشرية والمادية . ويمكن أن تعود الأسباب المانعة مثل هذه التزاعات إلى قوة جيران الفينيقيين الأقوياء الذين كانوا في غالب الأحيان يقفون حاجزاً لمنع هذه المدن من الدخول في حروب قد تضر بمصالحهم الاقتصادية .

كما أن افتتاح الساحل الفينيقي على البحر الأبيض المتوسط جعل سكان المدن الفينيقية ينشغلون عن الحروب الداخلية بالأسفار البعيدة... الخ (27) وكانت المدن الفينيقية عبارة عن قلاع قوية محصنة بأسوار عالية يصعب على الأعداء اقتحامها لأن معظمها كان قد بني على رؤوس جزر داخل البحر ليسهل الدفاع عنها (28). وقد نتج عن اتباع الفينيقيين لسياسة الانحناء تجاه القوة المسيطرة في المنطقة أن قسمت فنيقياً وهميأً إلى قسمين شمالي : كان غالباً يدور في فلك الحشين ثم الآشوريين فيما بعد ويسعى هؤلاء بهم على مدن القسم الجنوبي التي كانت غالباً ما تدور في فلك سياسة ونفوذ مصر ثم تستعين بها ضد الضغط الذي تعانيه من الناحية الشمالية . ويدعم فكرة التقسيم هذه رسائل تل العمارنة التي كان قدبعث بها رب عدي حاكم جبيل إلى الملك منحوتب الرابع (انخاتون) خلال القرن عشر ق. م. (29).

وقد حاولت المدن الفينيقية أن تتحد عدة مرات ، لكنها فشلت في ذلك بسبب السيطرة الأجنبية التي كانت تعانيها . كما كان أيضاً للصراع الداخلي الذي كان سائداً بين الأمراء والأراميين والعبانيين في منطقة سوريا الداخلية ، تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي بنسبة تفوق امكانيات الاستيعاب في المدن الفينيقية الساحلية ، وهذا العامل أدى إلى تفشي الاضطرابات والخلافات على السلطة بين الأعيان الأثرياء الذين كان لهم حق الحكم (30). وكان الهرم الاجتماعي الفينيقي مكوناً من ثلاثة طبقات يأتي في أول الهرم الملك أو ما كان يعرف بحاكم المدينة . وقد كان يظن في أول الأمر بأن حكام المدن الفينيقية هم من سلالة الآلهة ، ولذلك يجب طاعتهم وتقديرهم . وتمتع بهذه الصفة حكام المدن الفينيقية الأقوياء مثل الملك أحيرام الذي كان له الحكم المطلق خلال القرن العاشر ق. م.

يلي طبقة الحكام في الترتيب طبقة الكهنة وعلى رأسهم كاهن معبد الإله ملقارت في مدينة صور ، ثم مجلس الأثرياء الارستقراطيين . وأخيراً

هناك مجلس عامة الشعب الذي كان يلتجأ إليه عند نشوب الخلافات السياسية التي تدب بين الطبقات وذلك بغية تنفيذ مآربها باكتساب أعضاء هذا المجلس إلى جانبها (31).

وكانت مجالس الطبقات الحاكمة التي أشرنا إليها بمثابة أحزاب سياسية لكل واحد منها أنصاره ومعارضوه في كل طبقات سكان المدن الفينيقية. وتتضخج آثار التزاع على السلطة السياسية ، في الصراع السياسي الذي شب في مدينة صور ، خلال نهاية القرن التاسع ق.م. بين أليسا ، وأخيها بعماليون على وراثة العرش بعد وفاة والدهما مтан (Mutto) وقتل بعماليون لزوج أخته الكاهن عاشر باص بقصد الاستيلاء على ثروته وانتزاع الحكم من يد أخته . وقد انحاز لكل واحد منهما أنصاره .

عندما رأت أليسا عجزها عن الوقف في وجه أخيها الطاغية ، ففضلت الانسحاب من هذا الصراع صاحبة مؤيديها والابتعاد إلى موطن جديد (32). وكان ذلك في طليعة الأسباب التي دفعتها إلى الاتجاه نحو شمال إفريقيا ، وإلى بناء مدينة قرطاجة التي ستؤول إليها سيادة المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ بداية القرن السادس ق. م. والتي ستغدو في غربى المتوسط مضاهية لنظيرتها مدينة صور في شرقه .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

التَّوْسِعُ الْفَنِيقِيُّ فِي غَرْبِ الْمَطْوِسَطِ

أ — نشوء البحريّة الفنيقية

1 — البحريّة التجارّية

2 — البحريّة الحربيّة

3 — الموانئ

ب — مرحلة التوسيع

1 — مرحلة الارتياد الباكرة

2 مرحلة الاستيطان

3 — المشاكل التاريخية

أ — المصادر الكتابية . ب — المصادر المادية

التوسيع الفينيقي في غربى المتوسط

تعد دراسة التوسيع الفينيقي من بين الدراسات الهامة في تاريخ حوض المتوسط ، ذلك لأنها تمثل مجهاً بشرياً قام به هؤلاء الأقوام الذين استطاعوا بواسطة الملاحة البحرية أن يربطوا بين أجزاء مختلفة من العالم القديم.

ولكي نعطي فكرة عامة عن طبيعة وكيفية هذا التوسيع لابد أن نفهم بدراسة الوسائل التي اعتمد عليها الفينيقيون في توسيعهم ، والطرق التي سلكوها. كما أنها سنشير إلى الأغراض التي تكمن وراء توسيعهم هذا وما لا شك فيه أن الوسائل هي البحرية الفينيقية التي اشتهر بها الفينيقيون منذ استقرارهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

أ — نشوء البحرية الفينيقية

وقفت سلاسل من الجبال الممتدة من الأمانوس شمالاً حتى جبل الكرمل جنوباً حاجزاً طولانياً موازياً لساحل البحر فحرمت الفينيقيين من السهول الزراعية الواسعة ، ومن أحواض الأنهر الكبرى ، الأمر الذي أدى بهم إلى الاعتماد على البحر في حياتهم الاقتصادية . غير أن هذه

الجبال من ناحية أخرى وفرت لهم مادة الأخشاب التي كانت مصدراً رئيسياً لبناء السفن التي نقلتهم إلى معظم أجزاء العالم . كما أن الحاجة إلى مادة الأخشاب كانت من بين الدوافع التي جعلت شعوب دول العالم القديم مثل المصريين وسكان منطقة ما بين النهرين يحاولون الوصول عن طريق الحرب إلى مصادر الأخشاب في سوريا حتى يسهل لهم الحصول عليها بغية استعمالها في مختلف حاجاتهم المعمارية وبناء الأساطيل . وقد اشتهرت أخشاب الساحل الفениقي بالجودة والوفرة كما أشارت إلى ذلك نصوص الشواهد المصرية (1) . ويظهر بوضوح النقش الذي ينسب لمعبد سيتي الأول ملك مصر مدى احتياج المصريين لأنواع الأخشاب فنيقياً (2) . كما أشير إلى أهمية أخشاب الأرز الفينيقية في الاتفاقية التي تمت بين أحيرام ملك صور . وسلامان الحكم ملك العبرانيين في بداية ألف الأول ق.م. (3) .

أما حاجة بلاد ما بين النهرين إلى الأخشاب الفينيقية فـ ظهرت في الرسوم المنقوشة على جدران قصر خرسناد الآشوري الذي بني سقنه ومرافقه الأخرى بأخشاب أرز فنيقيا التي كانت تفرض على الفينيقيين ضمن الجزية التي كانت تدفعها مدنهم للأشوريين وكان أول عمل قام به الملك تجلات فلاسر الأول حينما غزا شمال فنيقيا سنة 1094 ق.م. هو قطع الأخشاب وحملها إلى أشور لاستعمالها في هيكل الإلهة (4) . بالإضافة إلى احتياج الجيران كانت فنيقيا نفسها تستعمل الأخشاب بكثرة في صناعتها الداخلية مثل بناء المعابد وصناعة السفن الخ ..

وكان نقل الأخشاب من أماكنها في أعلى الجبال يتم بطريقتين :

1 - تجمع الأخشاب في مجاري السيول والوديان الفصلية التي غالباً ما تفيض في الشتاء فتجرّفها إلى الأماكن المعدة لها على السواحل .

2 - تقطع الأخشاب وتحمل من طرف العمال مباشرة ، كما أشير إلى ذلك في اتفاقية حيرام وسلامان التي ذكرناها آنفاً .

بعد نقل الأخشاب إلى أسفل تجمع في شكل آرمات ثم تصدر خارج فنيقيا أو توضع في أحواض خاصة ويشرع في صناعة القوارب ثم السفن التي تكون البحرية الفنية بنوعيها التجارية والخربية . وغالباً ما كانت أحواض صناعة السفن توجد ضمن الموانئ البحرية .

١ - البحرية التجارية :

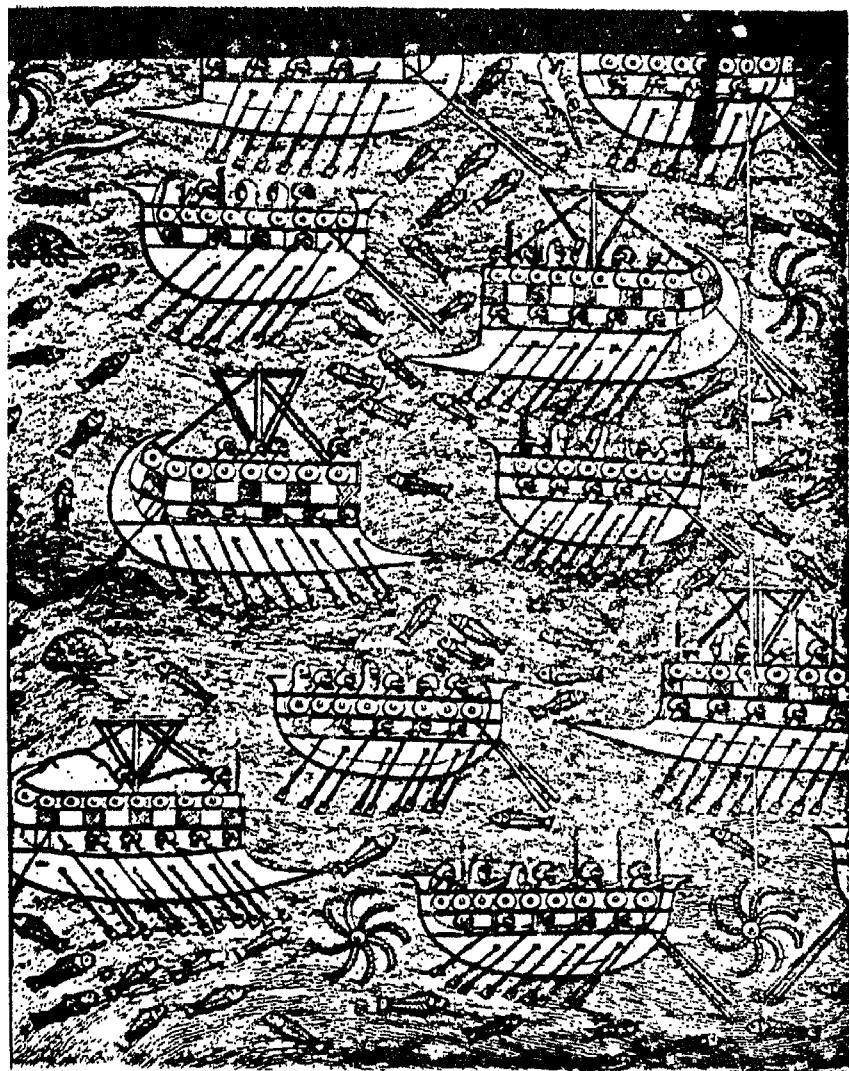
تأثير تاريخ ظهور البحرية الفنية في شرق المتوسط بعدة عوامل اقتصادية وسياسية نتج عنها سبق البحرية التجارية زمنياً للبحرية الخربية . وقد كانت القوارب والسفن الفنية في أول الأمر معدة للاحمال الخفيفة مثل الصيد ونقل البضائع بين المدن الفنية نفسها وذلك لصعوبة الطرق البرية التي تربط بين هذه المدن . ولم يغامر الفنيقيون في أول الأمر في وسط البحار بل كانوا يحاذون الشواطئ في أسفارهم التجارية .

ونظراً لأن سرعة السفن الفنية كانت في بادئ الأمر لا تتجاوز بضعة أميال ، فإن مدنهما على الساحل الفينيقي ، ومستوطناتهم على شواطئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كانت قريبة من بعضها بحيث لا تزيد المسافة الفاصلة بين كل مدينة وأخرى عن ملاحة يوم كامل وقد ترتب عن فقدان عنصر السرعة في السفينة الفنية اتباع التجار الفنيقيين لمبدأ إقامة الأساكيل (Escales) على الشواطئ أثناء أسفارهم البعيدة التي كانوا يقومون بها إلى غرب البحر الأبيض المتوسط . وكان غرضهم من ذلك أن تجد سفنهما مساء كل يوم من السير شاطئاً تأوي إليه ليسترigraph بحارتها من عناء التجديف اليومي ، ويتوذدون بالمؤن اللازمة لمواصلة الرحلة .

هذا وتحتختلف السفن التجارية في شكلها عن السفن الخربية ، حيث أن الأولى كانت مستديرة ، وبظاهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين ، وشكل

المقدمة غالباً ما يشبه عنق ورأس طير ، وكانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية ثم تقدمت صناعتها عندما أصبحت تتوجل في البحار والمحيطات فزودت بالمجاذيف التي تستعين بها في غالب الأحيان عند الدخول إلى الموانيء أو الخروج منها في حالة سكون الرياح . وهي تشبه إلى حد كبير السفن المستعملة حالياً في موانئ سوريا والتي يطلق عليها اسم الماعون (Mahounes) (5) ، ويشرط في السفينة الفنية التجارية سعتها الكبيرة لحمل الكثير بغض النظر عن عامل السرعة . وقد وجدت عدة نماذج لسفن تجارية فنية منقوشة على جدران قصر خرسان الذي بني في عهد سرجون الثاني ملك أشور في القرن الثامن ق.م. (أنظر الشكل رقم 3) ص 51 .

أما في مصر فان أقدم رسم للسفن التجارية عبر عليه منقوشاً على جدران قبر أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة في مدينة طيبة يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الخامس عشر ق.م. (7). وكان الرسم يمثل شكل سفينة مستديرة طرفاها الأمامي والخلفي مرفوعان ارتفاعاً عمودياً، وفي مقدمتها يقف بحار يمسك بيده عصا طويلة يحسن بها الاعماق . بالإضافة إلى ذلك كانت السفينة أيضاً مجهزة بصاري مركزي مد عليه شراع مربع . وهناك رسم آخر لسفينة شراعية فنية عبر عليها الأثريون سنة 1914 مرسوماً على جانب إحدى التوابيت في مدينة صيدا بفينيقا نفسها ، وكان هذا الرسم عبارة عن جسم سفينة مستديرة مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير البجع ، ومقدمتها تنتهي بساقية حارس وهذا قلع كبير مربع محمول على صاري مركزي تدفع بواسطة السفينة ، وفي المقدمة صاري صغير به قلع يستعان به على تحريك الدفة ، وتوجه السفينة من مركز فوقيها (8). ورغم أن الفينيقيين كانوا لا يعرفون البوصلة فانهم كانوا يعتمدون في أسفارهم على النجم القطبى الذي سماه اليونان باسم فونيكس (Phoinix) وقد بلغ الاسطول الفينيقي التجارى أقصى ازدهار فى شرق البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الحادى عشر ق.م. في عهد صيدا وصور (9)



(الشكل رقم 3)

صورة للمراتب الفنية التجارية والبحرية

واعتباراً من القرن السادس ق.م. بدأت قرطاجة تتسلم مكان صور في سيادة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وواصل الاسطول الفينيقي ازدهاره تحت زعامتها إلى أن اضمحل نهائياً في نهاية الحرب البوئية الثانية 201 ق.م. إذ بوجب معاهدة الصلح التي أبرمت بين روما وقرطاجة التزمت هذه الأخيرة بالتخلي عن سطوها البحري فيما عدا 10 سفن (10).

2 – البحرية الحرية :

لقد اشتهر الفينيقيون منذ عهودهم الباكرة على الساحل السوري بأنهم تجارة ماهرون استطاعوا أن ينفذوا إلى أجزاء مختلفة من العالم بواسطة التجارة والمبادلات السلمية دون أن يثيروا الشكوك حولهم . كما كانت لهم سهولة التأقلم مع أي وضع سياسي في المناطق التي يتزلون بها لأن هدفهم كان هو الكسب التجاري والحصول على الأرباح الطائلة دون معاولة للتدخل في الأوضاع السياسية السائدة هناك (11) . وورد في التوراة على لسان حزقيال وصف يكاد يكون شاملـاً للمواد التي تصنع منها السفن وللنشاط الاقتصادي الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط الذي كانت تترعنه مدينة صور : « قل لصور أيتها الساكنة عند مدخل البحر ، تاجر الشعوب إلى جزائر كثيرة هكذا قال الرب ، ياسور أنت قلت أنا كاملة البحمل تخولك في قلب البحور . بناؤوك تمموا جمالك عملوا كل أوواحك من سرو سنير . أخذناوا أرزاً من لبنان ليضعوه لك سواري صنعوا من بلوط باشان بجاذفك صنعوا مقاعدك من عاج مطعم . كتان مطرز من مصر هو شراعك يكون لك راية . أهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك . حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربائينك . شيوخ جبيل وحكماًها كانوا فيك قلافوك . جميع سفن البحر ولما حواها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك بنوا أروااد مع جيشك على الأسوار من حولك والأبطال كانوا في بروجلك علقوا أتراسهم على أسوارك . هم تمموا جمالك . ترشيش تاجرتك بكل غني بالفضة والحرير والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك بنفوس

الناس وبآلية النحاس أقاموا تجارتكم » (12).

وقد سبق أن أشرنا إلى أن البحرية التجارية لدى الفينيقيين كانت أسبق من الحربية ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لظهور هذه الأخيرة في شرق المتوسط غير أن الذي نعرفه هو أن الفينيقيين كانوا يقودون البحرية الحربية في بلاد الشرق القديم . وكان الاشوريون عند استيلائهم على الساحل الفينيقي يستخدمون سفن المدن المخاضعة لهم لانخمام ثورات المدن الأخرى التي كانت تمنع عن دفع الجزية وتحاول القيام بثورات مضادة للحكم الآشوري من آن لآخر . ويؤكّد ذلك انضمام سفن كل من صيدا وعكا ، وصور التي في البر إلى الملك الآشوري شلمناشر الثالث أثناء حصاره لمدينة صور سنة 722 ق.م. والذي دام لمدة خمس سنوات تمّ انتهائي بمعاهدة التزمت فيها صور بدفع الجزية للأشوريين (13) . كذلك طلب الملك الآشوري سحربيب من الفينيقيين أن يبنوا له أسطولاً حربياً عندما أراد أن يخضع المنشقين عنه في جنوب بلاد ما بين النهرين ، ووُجد ضمن بقايا قصره في نينوى رسم متقوش يصور جزء من حملته تلك (14) . وقد بقي للإسطول الفينيقي الحربي أهميته في شرق المتوسط حتى في أثناء الحقبتين البابلية والفارسية ، من ذلك أن ملك صيدا في العهد الفارسي كان هو الأمير الـ الكبير لإسطول الفارسي . كما شاركت السفن الحربية الفينيقية ضمن الأسطول الفارسي في معركة سلاميس (Salamis) سنة 480 ق.م. وآخر ضربة وجهت للقضاء على الأسطول البحري الفينيقي في شرق البحر الأبيض المتوسط يمثلها استيلاء الاسكندر المقدوني على مدينة صور سنة 332 ق.م. بعد أن حطم أسطولها الحربي بمساعدة السفن القبرصية .

أما بقصد البحرية في غربى المتوسط فان تاريخها يعود إلى القرن السادس ق.م عندما تسلمت قرطاجة سيادة المستوطنات الفينيقية في غربى البحر الأبيض المتوسط بعد استيلاء نبوخذنصر على مدينة صور سنة 574

ق.م. (15). وقد أصبحت قرطاجة بعد ذلك تهيمن على تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مما دعاها إلى الاعتناء بأساطولها الحربي حتى تضمن لنفسها السيطرة الكاملة على المنطقة .

غير أن قرطاجة كانت قد بدأت تخشى من مزاحمة الدوليات الإغريقية في جنوب إيطاليا وصقلية منذ أن أحسست برغبة التوسيع التجاري تدفع سكان المدن الإغريقية لمنافسة الاتروسكيين والقرطاجيين في السيادة على البحر التيراني بقصد حماية الطريق الرابطة بين صقلية وماهيليا (مرسيليا حالياً) التي أقيم فيها مركز تجاري إغريقي (16)، لذلك نرى أن قرطاجة تحالف مع الاتروسكيين في معركة الاليا (Alalia) بكورسيكا سنة 535 ق.م. لتحطيم الاسطول الإغريقي (17). ثم عمد القرطاجيون بعد ذلك إلى طرد الإغريق من جنوب إسبانيا ، ووقفوا في وجه توسيع المراكز الإغريقية في قرية بليبيا (Cyrenaica) وذلك بمنعهم لدوريوس (Dorieus) ابن ملك اسبارطة من التوسيع التجاري في سواحل ليبيا باتجاه خليج السرت غرباً سنة 501 ق.م. ولم تقنع قرطاجة فقط بمحاصرة الإغريق ، بل وقعت عدة معاهدات مع روما التي كانت بدورها تحاول أن تأخذ مكانها على الشاطئ الشمالي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . غير أن الاسطول القرطاجي الحربي كان قد تلقى ضربة قاسية لأول مرة من التحالف الإغريقي في معركة هيمرا (Himera) شهاب صقلية سنة 408ق.م. مما أدى بقائده هملكار الماغوني إلى الانتحار من جراء هذه الهزيمة . وقد أثر تحطيم الاسطول القرطاجي في هيمرا على حكومة « الأقلية » القرطاجية فاتجهت بعد ذلك نحو إفريقيا وأصبحت تعتمد على الفلاحنة في شواطئ بلاد المغرب ثم قامت بتجهيز اسطولين تجاريين أرسلت أحدهما تحت قيادة حنون إلى سواحل أفريقيا الغربية فعاد إليها محملاً بثبر الذهب والعاج وغير ذلك من خيرات إفريقيا الاستوائية ، ووجهت الثاني تحت قيادة حملكان (Hamilco) إلى جزر « كاسيتيريدس » جنوب غرب بريطانيا فجلب لها من هناك القصب والرصاص (18).

وعلى العموم فقد الاسطول القرطاجي هيئته بعد « معركة هيمرا » وأصبح يتغير بعد ذلك حتى جاءت الحروب البونية 264 – 146 ق.م. التي تقابلت فيها روما وجهاً لوجه مع قرطاجة في ثلاث حروب قضي أثناءها على سيادة الاسطول البحري القرطاجي في غربي المتوسط اعتباراً من نهاية الحرب الأولى ، وبالتالي هدمت قرطاجة سنة 146 ق.م.

أما من حيث الفروق القائمة بين السفن التجارية والبحرية فان هذه الأخيرة (أي البحرية) كانت مستطيلة الشكل و لها مؤخرة مرتفعة ومقدمة غالباً ما تكون في مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية في شكل سكة المحراث يطلق عليها اسم رأس الكبش (Ram) تستعمل لتحطيم سفن الأعداء أو قلبها في الماء أثناء الاصطدام بها (19). بالإضافة إلى ذلك كانت السفن الفيقية تميز بالخففة وسرعة الحركة في جميع الجهات أثناء مناورات الأعداء ، وهي تعتمد في سيرها على المجاديف بدلاً من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية ، وقد كانت في أول الأمر تعتمد على صفين من المجدافين يتضمن أحدهما فوق الآخر ، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فأصبحت ذات ثلاث صفوف وأربعة.. الخ. حتى التسع صفوف أحياناً²⁰ وكانت السفن القرطاجية التي شاركت في الحرب البوانية الأولى قد اختيرت من ذوات الخمس صفوف التي تسع حوالي 300 مجذف وتحمل على سطحها حوالي 100 مجذف بأمتاعهم . ولربما يكون هذا العدد غير مقبول إلا أن المثال الآتي سيوضح ذلك : ففي معركة أكتنوموس (Ecnomus) البحرية سنة 250 ق.م. والتي عد من أبرز المعارك البحرية البحرية التي دارت بين قرطاجة وروما ، كان الاسطول القرطاجي في هذه المعركة يتكون من 350 سفينة تحمل على متنها 150 ألف جندي ، ومقابل ذلك كان الاسطول الروماني يتتألف من 330 سفينة تحمل على متنها 140 ألف جندي روماني (11) . وهكذا نرى أنه إذا قسمنا عدد الجنود القرطاجيين على عدد السفن نحصل على حوالي 428 جندي وهو ما تحمله السفينة الواحدة ، وهذا يرينا صدق ما أشرنا اليه سابقاً .

ومن المرجح أن قرطاجة لم تكن في نزاعها مع الاغريق ، تم مع الرومان بحاجة ماسة إلى السفن الحربية الوفيرة بقدر حاجتها إلى جيش من أبناء قرطاجة أنفسهم قوي في البر وفي البحر على السواء . وقد حاولت قرطاجة بعد معركة هيمرا سنة 480 ق.م. أن تتفادى هذا النقص باعتمادها على تجنيد المرتزقة غير أن ذلك لم يحل المشكل نهائياً بل أصبح هرولة المرتزقة يشكلون عنصر اضطراب ، ومصدر قلاقل بالنسبة لقرطاجة وستظهر نتيجة ذلك في أعقاب الحرب البونية الأولى (241) ق.م. أبان «ثورة الخطير التي عرفت باسم ثورة المرتزقة» (22).

ساعدت كثرة الموانئ الفنيقية على ازدهار الحركة التجارية لدى الفنقيين ودفعتها نحو الأمام . وقد عمل الفنقييون على اتباع مبدأ الميناءين في المدينة الساحلية الواحدة سواء أكان ذلك في فنيقىا الام أو معظم مستوطناتهم الأخرى في غربى المتوسط وكان هدفهم من ذلك في أول الأمر وضع سفنهم في مأمون من تقلبات الطبيعة وهيجان البحر ، ولذلك فأنهم كانوا يختارون الميناء المحمى من الرياح ويرسون فيه (23). فمثلا إذا كانت الرياح شمالية فأنهم يرسون في اثناء الجنوبي من المدينة وإذا كان العكس فأنهم يختارون الميناء الشمالي وهكذا استطاع الفنقييون ببراعة تفكيرهم أن يتقدوا شر تقلبات الطبيعة في أول الأمر .

3 - الموانئ :

أما بعد ظهور بناء الأرصفة القوية والحواجز الحدارية التي تحمي الموانئ فان هدف الفنقيين من مبدأ وجود الميناء ين قد تغير فاصبح الغرض منه استراتيجياً (24). كذلك ساعد الفنقيين على بناء الموانئ طبيعة بناء مدنهم على رؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل . وقد بنيت على النمط الأول أي على (رؤوس) كل من صيدا التي كانت تتمتع بميناءين أحدهما إلى الشمال من المدينة ، والثاني إلى الجنوب منها.

ويعتقد بأن هذين الميناءين كانوا متصلين من الداخل بقناة تربط بينهما.

وقد وصف المؤرخون ميناء صيدا الجنوبي بأنه كان يتكون من أرصفة وحواجز وأحواض ومحاط من الداخل بصخور ناتئة ربط فيما بينها فاصبحت تشكل رصيفاً قوياً في وجه الأمواج وهي الآن مغمورة بال المياه على عمق يتراوح بين 8—15 م تحت سطح البحر (25). وكانت مدينة قرطاجة في غربي البحر الأبيض المتوسط هي الأخرى قد بنيت على رأس داخل البحر وتتمتع بميناءين ، أحدهما تجاري له شكل مستطيل يحيط به سور قوي يبلغ عرضه حوالي 4,53 م يقلل مدخله بسلال حديدية (26). وهناك قناة توصل إلى ميناء داخلي له شكل دائري هو الميناء الحربي الذي كان يعرف باسم القاطعون (27). كذلك كانت بانورموس في صقلية ونورا في جنوب ميردينينا تتمتعان بميناء مزدوج . وهناك نوع آخر من المدن الفينيقية التي بنيت على جزر وكانت هي الأخرى تحتوي على ميناءين من ذلك مثلاً مدينة صور (Tyr) التي كان ميناؤها الشمالي يعرف بالمرسى الصيداوي والجنوبي يطلق عليه المرسي المصري (28).

وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الملك أحيرام الذي ازدهرت في عهده صور حوالي القرن العاشر ق. م هو الذي أوصل بين جزيرة صور والجزر الصغيرة المحاذية لها بسور ثم كون الميناءين الشمالي والجنوبي طبقاً للعادة الفينيقية وربط بينهما بقناة داخلية (29) وعلى هذا المنوال كانت مدينة قادس في الطرف الجنوبي الغربي من شبه إيبيريا ، هي الأخرى قد بنيت على جزيرة ، وتتمتع بنظام الميناءين التجاري والحربي وقد قدم سترابون وصفاً دقيقاً لطبوغرافيتها إلا أن ذلك الوصف لا يتطابق واقع قادس الحالي وذلك بسبب التغيرات التي انتابت موقع المدينة والتصاق جزيرتها باليابسة (30) . وكانت مراكز الفينيقيين في كل من إبليزا (Ibiza) في الباليار وموتيما (Mottya) في صقلية تتبعان أسلوب الميناء المزدوج (31) . ويحتمل بأن المدن والمراكز

الفينيقية المزدوجة المبنية هي التي كانت تمثل القواعد الحربية الفينيقية خاصة في فترة الالف الاول قبل الميلاد .

ب - مراحل التوسع

لقد كانت وضعية ممالك مدن الساحل الفينيقي قبل مستهل القرن الثاني عشر ق . م غير ملائمة ذلك لأن هذا الساحل كان يمثل امتداداً لنفوذ جيرانه الاقوياء ، الامبراطورية المصرية في الجنوب ، والدولة الحشية في الشمال ، غير أن غزو شعوب البحر المدمرة التي انطلقت من شمال بلاد اليونان مجتاحة جنوبه وآسيا الصغرى ثم الساحل السوري كانت قد دمرت كل معالم الحضارة التي وجدتها أمامها ، وبالتالي كان لها أثرها العميق في تغيير الاوضاع السياسية في المنطقة حيث قضى على الدولة الحشية في شمال الساحل الفينيقي من قبل هؤلاء الغزاة بعد تدمير عاصمتها بوغاز كوي (حاتوش) حوالي ستة 1200 ق . م ووضع حدأً لنفوذ المصري في الجنوب (32) .

وقد ترتب عن هذا التغيير أن أصبحت مدن الساحل الفينيقي التي استعادت قوتها بسرعة فائقة تنعم بفترة استقلال دامت حتى القرن التاسع ق . م عندما ظهرت قوة الدولة الاشورية في المنطقة على يد أشور ناصر بعل الثاني 878 ق . م ولكن أخبارنا عن فترة الاستقلال هذه قليلة جداً ، ذلك لأننا نستقي معلوماتنا عن الفينيقيين من وثائق جيرانهم التي لم تشر إلى هذه الفترة لأن هؤلاء الجيران كانوا بعيدين عن المنطقة ، كما أن الفينيقيين من جهة أخرى لم يتركوا لنا ما يشير إلى هذه الفترة بالتفصيل فيما عدا تلك المعلومات التي تشير إلى زعامة صيدا وصور للمدن الفينيقية منذ القرن الثاني عشر ق . م .

وكانت صيدا هي التي تقلدت هذه الزعامة في أول الامر فعملت على إنماء الحركة التجارية الفينيقية في شرق البحر الابيض المتوسط ،

وبذلك أصبح المجال مفتوحاً للفنيقيين بعد سقوط البحريّة الایجبيّة التي كانت تسيطر على تجارة شرق المتوسط على يد الأقوام الدورياتية (33) ومد الفنيدقيون سيادتهم إلى جزيرة قبرص فأسسوا فيها مدينة كيتيون (Kition) وقد وجد مكتوباً على نقود صيدها بأنها المؤسسة لمدينة هيبون (Hippo-Rigius) في شمال إفريقيا، ومدينة كيتيون في قبرص ، ويذكر هوميروس في الآليةاذ بأن تجارة الاقمشة والنحاس في هذه الفترة كانت من احتكار مدينة صيدا وحدها (34) .

غير أن ازدهار صيدا وسيادتها البحريّة لم يدوما طويلاً ، فسر عسان ما نراها ترك المجال لمدينة صور بعد التهديم والنهب اللذين منيت بهما حوالي سنة 1195 ق . م من طرف ملك مدينة عسقلان الفلسطيني ، وكانت صور قبل هذه الفترة تابعة لصيدا حتى قيل بأن صيدا كانت أمّاً لصور (35) . وبعد كارثة التهديم التي أشرنا إليها في صيدا ، انتقل سكانها إلى صور وتبوأت هذه الأخيرة مكانة الصداره على الساحل الفنيدقي ثم استعادت قبرص إلى حظيرتها بعد أن كان سكانها قد امتنعوا عن دفع الجزية التي كانوا يقدمونها إلى مدينة صيدا قبل ذلك ونظراً لقرب جزيرة قبرص من الساحل الفنيدقي فانها كانت محطة أنظار التجار الفنيدقين . كما أنها كانت تعتبر بثابة محطة أولى على الطريق التجاري بين الوطن الأم والبحر الأبيض المتوسط الغربي عبر بلاد اليونان والمستوطنات الفنيدقية الأخرى (36) . وكانت مراكز الفنيدقين في قبرص تحيط بالجزيرة .

ويشير المؤرخون الاغريق القدامى بأن الفنيدقين اشتغلوا بتعدين النحاس في الجزء الشرقي من قبرص . ثم حاولوا البحث عن معادن الذهب في نفس الجزيرة غير أنهم لم يجدوا التوفيق الذي وجدوه في بحثهم عن النحاس والفضة في الجزيرة نفسها (37) وقد عبر في كيتيون على بقايا أثرية فنيدقية تعود إلى ما بين العاشر ، والثامن ق . م

بالاضافة الى ذلك كانت أليسا (Elissa) اثناء خروجها من صور متوجهة الى شمال افريقيا قد نزلت بقبرص فاستقبلها كاهنها الذي اصطحبته معها في رحلتها بعد أن رضيت بأن يكون حق الاشراف الديني في المدينة الجديدة التي ستبنوها وقفاً عليه ، وعلى أسرته من بعده . (38)

وقد حل الفينيقيون ببرودس فأسسوا فيها مراكز فنية اثناء رحلة قدموا من الاسطورية في شرق البحر الابيض المتوسط (39) . وليس من المؤكّد بأن الفينيقيين كانوا قد نزلوا في كريت وإنما يحتمل بأنه كانت لهم علاقة تجارية مع جنوبها الشرقي . وحل الفينيقيون في جزر البحر الابيجي مثل جزر السيكلاлад (Cyclades) وثيرا (Theara) وميلوس (Melos) وأولياروس (Ollaros) . كما وصلوا الى بلاد اليونان الام ، وكانت لهم مراكز متنقلة في كل مدن طيبة وأثينا (40) وورد في شعر هوميروس بأن المراكب الفنية كانت تؤم بلاد اليونان محملة بالاطيبيب الفينيقية .

وقد تعلم الاغريق عن الفينيقيين صناعة السفن الكبيرة والاسترداد في أسفارهم البحرية بالنجم القطبى . وحتى إذا لم يمكث الفينيقيون في بلاد اليونان أو لم تكن لهم مراكز تجارية مستقرة بها فإننا لا نستطيع أن ننكر العلاقات التجارية الباكرة التي قامت بين الشعرين الفينيقي والاغريق على مر العصور ، والتبادل الحضاري المتمثل فيأخذ الكتابة الفينيقية من طرف الاغريق في القرن السابع ق . م ثم نقلها الى أوروبا فيما بعد عن طريق هولاء الاخرين . ويحتمل أيضاً أن يكون وصول الفينيقيين الى جزر البحر الابيجي وجنوب بلاد اليونان الام بمثابة الخطوة الاولى التي مهدت لهم الطريق للوصول الى غربى البحر الابيض المتوسط ، واكتشاف المحيط الاطلسي فيما بعد .

١ – مرحلة الارتياز الباكرة

يمكن أن نعيد مرحلة ارتياز الفينيقيين الباكرة لغربي البحر الأبيض المتوسط وببلاد المغرب إلى فترة ازدهار المدن الفينيقية على الساحل السوري والتي بدأت منذ القرن الثاني عشر ق. م و كان الفينيقيون خلال رحلاتهم الاستكشافية الأولى عبارة عن تجار متنقلين يبحرون وراء الأرباح ، وخاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة ، هذه المعادن كانت متوفرة في غربي البحر الأبيض المتوسط ، لا سيما في منطقة شبه جزيرة ايبيريا التي كانت تحتوي على مناجم الفضة والنحاس في (ترشيش) . ويعتقد بأن المعادن المذكورة كانوا قريبين من سطح الأرض بحيث لا يستدعي الحصول عليها حفر المناجم العميقه (٤١) .

ويشبه احتياج الفينيقيين إلى معادن الفضة والقصدير والرصاص في تلك الحقبة الباكرة من التاريخ باحتياج النهضة الحديثة إلى معادن الذهب أو البترول . ولذلك لا غرابة أن نرى الفينيقيين يعملون على تأسيس مراكز ومستوطنات في الاماكن التي توفر فيها هذه المواد الاولية التي كانوا يحملونها في سفنهم بقصد اتصالها إلى الشعوب المصنعة في شرقى البحر الأبيض المتوسط مثل اليونان والمصريين ، وسكان الرافدين . وقد ساعد الفينيقيين على تأسيس مراكزهم التجارية الأولى في شبه جزيرة ايبيريا جهل السكان المحليين باستعمال المعادن الموجودة في بلادهم وانكبوا على اقتناص البضائع الفينيقية المصنعة التي كانت غالباً ما تمثل في الشياب الارجوانية والفخارية ، والخليل ، والزجاج (٤٢) .

ويحتمل بأن الفينيقيين في فترة الارتياز الباكرة هذه كانوا قد اسسوا محطات تجارية (Factories) يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيين بقصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة . وقد بدأت هذه المحطات الصغيرة تنمو وتسع عن طريق الهجرات المتواترة من الساحل الفينيقي إلى المحطات الجديدة . وخلال هذه الفترة الباكرة كان

الفينيقيون يحاولون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط لاختيار أماكن تصلح لبناء مطاراتهم ومستوطناتهم التجارية المقلبة خاصة على شواطيء بلاد المغرب التي كانت معظم سواحلها صخرية . ومعرضة للرياح الشمالية فما عدا منطقة شهال تونس (43) . وكان الفينيقيون من جهة أخرى يدركون مدى أهمية سواحل شبه جزيرة ايبيريا ووسط غرب افريقيا التي جذبت انتباهم بمعادها الثمينة ، وموادها الخام المتوفرة ، وبين فنيقيا الام في شرق البحر الابيض المتوسط . لذلك نرى الفينيقيين يؤسسون محطة ليكسوس (Lixus) على السواحل الغربية لبلاد المغرب في وقت واحد مع تأسيس قادس (Gadis) في شبه جزيرة ايبيريا (1110 ق. م) ، وكذلك مدينة اوتيكا (Utiga) 1101 ق. م في الناحية الغربية من خليج تونس الحالي بالقرب من مصب نهر مجردة (44) . وقد تحولت هذه المدن فيما بعد إلى مستوطنات اسكان احتل فيها أهالي البلاد حضارياً بالقادمين الجدد من الفينيقيين . وقد تسارعت العملية بعد ازدهار مستوطنة قرطاجة التي استطاعت بحكم موقعها الاستراتيجي أن تترעם بكل المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الابيض المتوسط منذ القرن السادس ق. م على الأقل .

وهكذا نرى أن عملية الارتياح الباكرة قد تمت في ظروف لا زالت المصادر المادية والكتابية غير متفقة عن تحديد معالمها (45) . ومن المحتمل أن المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الابيض المتوسط كانت قد بدأت على شكل محطات تجارية مرتبطة بالوطن الام ولم تتحول إلى مستوطنات الا بعد أن استكملت شروطها الاولىتمثلة في تكاثر أعداد المهاجرين الفينيقيين في المحطات التجارية الجديدة ، ثم محاولة تعاونهم مع السكان المحليين بقصد اnahme الفرصة لهم للعمل على تنفيذ مآربهم الاقتصادية ، وبالتالي انشاء حضارة جديدة سترى فيما بعد بالحضارة القرطاجية .

٢ - مرحلة الاستيطان :

تعتبر فترة استيطان الفينيقيين في غربي البحر الأبيض المتوسط مكملة لمرحلة الارتياد الباكرة التي أسلفنا الاشارة اليها ، وليس هناك تاريخ محدد قائم بذلك نستطيع أن نفصل به بين المرحلتين ، وإنما يحتمل بأن المحطات الهامة والمراکز التجارية التي كانت قد أُسست في مرحلة الارتياد الباكرة في كل شطري الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط الشمالي والجنوبي هي نفسها قد تحولت إلى مستوطنات حينما اكتملت ها الشروط الملائمة لذلك .

وهناك من المؤرخين من يعيد فترة الاستيطان الفينيقي في غربي المتوسط إلى القرن العاشر ق . م على اعتبار أن هذا القرن يمثل العصر الذهبي بالنسبة للساحل الفينيقي عامه ، ومدينة صور خاصة تحت حكم الملك حيرام بن أبي بعل (980 - 936 ق . م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مدينة صور (46) . واستطاع الملك أحيرام بحكمته السياسية وقوة شخصيته أن يوفر الاستقرار الداخلي ، ويسهل علاقته صور الخارجية السياسية والاقتصادية مع جيرانها . كما عمل على تشجيع التجارة البحرية في كامل شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وحسن ميناء صور . وعليه يعزى كثير من المؤرخين توطيد وتوسيع المستوطنات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط (47) .

وإذا صحت آراء المؤرخين فإن تحويل المحطات التجارية الفينيقية الباكرة في غربي البحر الأبيض المتوسط إلى مستوطنات يرجع الفضل فيه بالدرجة الأولى إلى مدينة صور التي آلت إليها الزعامة السياسية والاقتصادية على مدن الساحل الفينيقي منذ القرن الثاني عشر ق . م حتى إذا شاركت بعض المدن الفينيقية في عملية الاستيطان هذه فقد فعلت تحت راية مدينة صور وبأمر منها ، ولعل من بين العوامل التي ساعدت على الاستيطان في غربي البحر الأبيض المتوسط حداقة وبراعة التجار الفينيقيين في كسب ود وصداقه

السكان المحليين . أضف الى ذلك تدفق التجار المهاجرين الفينيقيين من الوطن الام ، اكتشافهم للمحيط الاطلسي الذي لم يسبقهم اليه غيرهم من الشعوب البحرية الاخرى مثل الاغريق والمصريين (48) .

وعلى العموم فان الغرض من تأسيس مستوطني قادس وليكسوس على ساحل المحيط الاطلسي شمال وجنوب اعمدة هرقل من طرف الفينيقيين لم يكن فقط لاغراض اقتصادية تستهدف الحصول على منتجات شبه جزيرة ايبيريا وبلاد المغرب الاقصى المتمثلة في معادن الفضة والقصدير والملح ، والاسماك المجمفة . بل كان الهدف من وراء ذلك مواصلة الرحلات الاستكشافية عبر المحيط الاطلسي بدليل أن الفينيقيين فيما بعد خلال العهد القرطاجي كانوا قد انطلقوا من مدينة قادس عبر سواحل أوروبا الغربية للوصول الى جزر كاسيتيريدس (Cassiterides) وكورنوال (Cornwall) جنوب بريطانيا بحثاً عن القصدير والرصاص (49) . كما استعنوا بليكسوس للوصول الى سواحل غربي افريقيا الاستوائية بقصد الحصول على تبر الذهب ، وجلود الحيوانات المفترسة والعاج والعيديد (50) .

أما الجانب السياسي فان مرحلة الاستيطان الفينيقي في غرب البحر الابيض المتوسط تعد متممة للتاريخ الفينيقي في شرقه ذلك لأن هذه المستوطنات كانت تابعة للمدن الفينيقية ، وخاصة مدينة صور التي كانت تتلقى الضرائب والهدايا السنوية لمعابدها ، وتعرف هذه المرحلة أيضاً في التاريخ المغربي بالعصر الفينيقي الذي يمتد حتى منتصف القرن السادس ق.م عندما تسلمت قرطاجة زعامة المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الابيض المتوسط . وقد تميز العصر الفينيقي بالتبادل الاقتصادي والحضاري الذي تم بين المستوطنين وسكان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط بصفة عامة ، وسكن منطقة بلاد المغرب بصفة خاصة مما ساعد الفينيقيين على الاستقرار في المنطقة .

ومن جهة أخرى فان هذا العصر كذلك تميز بوصول التجار الاغريق في وقت متأخر إلى غربى البحر الابيض المتوسط (550 - 750 ق. م) وبده المنافسة التجارية الفنية الاغريقية في صقلية وجزر البحر التيراني (51) غير أن هذه المنافسة في أول الامر كانت غالباً ما تكتسي طابعاً سلبياً ولصالح الفنيقين الذين توزعت مستوطناتهم ، ومحطاتهم التجارية في شواطئ الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ولم تتحول إلى صراع مسلح الا في بداية العصر القرطاجي .

٣ — المشاكل التاريخية

أ — المصادر الكتابية

ب — المصادر المادية

من بين المشاكل التاريخية العويصة التي تعرّض الدارس للتّوسيع الفنيقي الباكر في غربى البحر الابيض المتوسط ، قلة المصادر الكتابية والمادية الفنيقية الأصل ، وهذا مما يجعل المتبع لتاريخ التّوسيع يعتمد في بحثه على ما كتبه المؤرخون القدماء الاجانب أمثال الكتاب الاغريق والرومان ، وغيرهم .. ومن جهة أخرى فإنه يعتمد أيضاً على مقارنة البقايا المادية التي يعثر عليها علماء الآثار من وقت لآخر في مواقع المدن والمستوطنات الفنيقية القديمة في غربى وشرقى المتوسط بتلك التي وجدت معاصرة لها في كل من مصر ، وببلاد الاغريق ، ثم فنيقيا الام ، ويدون ذلك لا يتسع للباحث استخلاص التاريخ الحقيقي لبدء النشاط الفنيقى في غربى البحر الابيض المتوسط الذي لا يزال التضارب قائماً فيه بين المصادر الكتابية والمادية ، وعلى ذلك فاننا سنقدم فكررة عامة عن هذين المصادرين كل على حدة .

أ – المصادر الكتابية :

تعتمد المصادر الكتابية للتاريخ الفيني في غربى المتوسط على ما ذكره الكتاب الاغريق والرومان عن النشاط الفنيدى فى غربى البحر الایض المتوسط ، غير أننا قبل أن نستشهد بأقوال هؤلاء المؤرخين نرى أنه من الضروري أن نذكر بعض المآخذ العامة والصعوبات التي تقف حائلاً دون الاعتماد كلية على الآراء أو المعلومات المقدمة من لدن هؤلاء المؤرخين ويأتي في مقدمة هذه المآخذ :

- 1) اعتماد هؤلاء المؤرخين على أسطoir تصویر النواحي الدينية ، والاجماعية والسياسية التي لا تخدم الحقائق التاريخية مباشرة .
- 2) اتخاذ بعض الاحداث التاريخية الاغريقية البارزة مثل دمار طروادة عام 1194 ق . م ، والاحتفال بالألعاب الاولمبية الأولى عام 776 ق . م ثم تأسيس مستوطنة كوماي (Cumae) الاغريقية سنة 750 ق . م نقاط استناد بارزة تقاس عليها الاحداث التاريخية الاخرى ، وخاصة احداث التوسع والاستيطان الفيني في غربى المتوسط وشمال افريقيا .

غير أن هذه الاحداث يمكن أن تصدق بالنسبة للتقويم الزمني الاغريقي، ولكنها غير صالحة للتقويم الاحداث الزمنية العالمية ، لا سيما بالنسبة لتلك الشعوب التي لم تتحلى بالعالم الاغريقي منذ حوالي القرن الثامن ق . م (52) . كما أنه لا يمكن أن نثق في الكتابات التاريخية الاغريقية التي تتناول نهاية الالف الثاني ق . م ما دمنا نعرف بأن الذين دونوها مؤرخون لم يعاصروا تلك الاحداث ، بل عاشوا في زمن متاخر كثيراً عنها . وأقدم مؤرخ اغريقي كان قد تعرض في كتابته لوصف بلاد المغرب هو هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس ق . م ولذلك فإن القرون الخمسة الاولى من الالف الاول قبل الميلاد تكون مجحولة (53) .

3) يُؤخذ على المؤرخين الاغريق ، والرومان عند تناولهم للتاريخ

الفنقي في غربى البحر الابيض المتوسط تخيزهم لشعوبهم ضد الوجود السامى في المنطقة ، وذلك نظراً للتنافس الاقتصادي والصراع السياسي الذى كانت تخوض غماره شعوبهم ضد سكان منطقة المغرب . وهذا بدوره يجعلنا ندرك جيداً بأن كتابتهم لا تخلو من المبالغة ، وتحقير سكان المنطقة لهم وصفتهم بالوحش أحياناً ، وبالقراصنة آخرى وقد ورد في احدى كتابات سالوت كان أوائل سكان افريقيا البحتوليون والليبيون ، وهم أقوام خشنون وبرابرة ، يتغذون بلحوم الحيوانات المتوجحة ، أو بأعشاب السهل على نمط القطعان (٥٤) .

٤) عرف عن بعض المؤرخين الاغريق القدماء نقص في الدقة في الحكم استناداً إلى ظواهر الأشياء ، وذلك يمكن أن يكون راجعاً إلى نقص الوسائل التقنية المساعدة التي أصبحت تعتمد عليها المدارس التاريخية الحديثة في استخلاص الحقائق التاريخية ، يضاف إلى ذلك احتمال جهل أو قلة معرفة هؤلاء المؤرخين القدماء باللغات المحلية وفي طبيعتها اللغة الفنيقية ، فهيرودت مثلاً كان يجهل اللغة الارامية والاشورية ... الخ لذلك لا عجب أن جاءت بعض معلوماتهم مغلوبة أو ناقصة .

ومن بين المؤرخين القدماء الاجانب الذين تعرضوا في كتابتهم للنشاط الفنقي الباكر في غربى البحر الابيض المتوسط نذكر المؤرخ الاغريقى تيمائوس (Timaeus) الذي عاش في صقلية حوالي القرن الثالث ق . م فتناول في كتابته تاريخ تأسيس قرطاجة فذكر بأنها سبقت مدينة كوماى الاغريقية بحوالي ٦٠ سنة (٥٥) . وعلى ذلك يكون تأسيس مدينة قرطاجة حوالي سنة ٨١٠ ق . م وقد امتازت كتابة تيمائوس بخلوها من الطابع الاسطوري الذي سيطر على كتابات بعض المؤرخين الاغريق الآخرين الذين تناولوا تاريخ تأسيس قادس وأوتيكا ، ووصفوه في القرن الثاني عشر ق . م . وبالحدير بالذكر أن مؤلفات تيمائوس لم تصل اليانا مباشرة بل استشهد بها عدد من المؤرخين التاليين الذين سلمت كتابتهم من الضياع .

وهناك بعض المؤرخين الاغريق استقلوا في الرأي عن تيمابوس فأرجعوا وصول التجار الفنقيين إلى غرب البحر الأبيض المتوسط بالسنوات التالية لحرب طروادة ، وأعطوا بذلك تواريخ معينة لتأسيس مدينة قادس عام 1110 ق . م وكذلك أوتيكا سنة 1101 ق . م غير أنه يمكن أن يكون هناك مصدر أكثر أهمية من ذلك الذي جاء به تيمابوس ، ويتمثل هذا المصدر فيما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) الذي كتب خلال القرن الاول ميلادي مقتبساً عن ميناندروس (Menandros) الافيسوسي الذي قيل عنه بأنه استعمل في كتابته التاريخية وثائق فنية (56) . وقد ورد في أحدي هذه الاستشهادات قائمة مرتبة بأسماء ملوك صور الذين حكموا خلال القرنين العاشر والتاسع ق . م ثم يرجع يوسيفوس تأسيس مدينة قرطاجة من طرف اليسا إلى حوالي السنة السابعة من حكم بغاليون لمدينة صور .

واعتماداً على التقويم الزماني الذي أورده ميناندروس ، وما أشرنا إليه سابقاً من كلام تيمابوس فإن حكم بغاليون لمدينة صور كان في أواخر القرن التاسع ق . م وبذلك فإن روايته تتفق مع تلك التي ذكرها تيمابوس فيما يخص تأسيس مدينة قرطاجة . وكان يمكن أن تكون كتابة ميناندروس من أهم المصادر التاريخية القديمة في هذا الموضوع لو أنها عرفنا مؤلفاته أو حتى زمن ظهورها (57) . وفيما يخص تأسيس قرطاجة فإن التاريخ المتعارف عليه حالياً بين مؤرخي العالم هو 814 ق . م على اعتبار أن تاريخ تأسيسها قد سبق الالعاب الاولمبية الأولى بحوالي 38 سنة أي في 814 ق . م

أما عن تاريخ تأسيس المستوطنات الأخرى الباكرة في غرب البحر المتوسط : مثل قادس ، وليكسوس ، وأوتيكا قليس ثمة ما يشير إلى ذلك بالتأكيد . وإنما يعتقد بأنها أُسست عقب نهاية الحروب الطروادية بسنوات قليلة (58) . وكانت قادس هي أولى المستوطنات ثم تبعتها ليكسوس وأوتيكا .

وهنا يمكن أن نتساءل عن الاسباب التي جعلت الفينيقيين يسبقون بتأسيس مدينة قادس في الطرف الجنوبي من اسبانيا قبل غيرها من مستوطنات سواحل بلاد المغرب التي تعتبر قريبة نسبياً الى فنيقيا الام ، وللاجابة عن هذا التساؤل ، يمكن أن نذكر بأن توفر خامات النحاس والفضة والقصدير في المناطق المجاورة لمدينة قادس ، كان الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله التجار الفينيقيون الى الحوض الغربي الايبيض المتوسط ، ولذلك فلا غرابة أن تكون مستوطنة قادس هي أبكر المستوطنات الفينيقية في المنطقة ، وأن معظم المستوطنات والمحطات الفينيقية الأخرى التي تلتها في التأسيس على سواحل الحوض الغربي للبحر الايبيض المتوسط على الطريق الرابطة بين قادس وفينقيا الام كان الهدف منها في أول الامر تزويد السفن والبحارة الفينيقيين بالماء والماء ، ثم الاتصال بأهالي المنطقة بقصد تأمين فتح أسواق تجارية جديدة لبيع بضائعهم المصنعة لتلك الشعوب التي كانت متخلفة حضارياً ، وبالاعتماد على نظرية البروميرانج (Boomerang) فان التجار الفينيقيين الذين انطلقا من الساحل الشرقي للبحر الايبيض المتوسط يقصد المتأخرة مع سواحله الغربية ، والحصول على خامات المعادن لا بد أن تعود أرباحهم التجارية الى مدنهم التي انطلقا منها لأول مرة (59) .

غير أن هذا الهدف تغير فيما بعد عندما ازدهرت مستوطنة قرطاجة وأصبحت لها تدريجياً الزعامة السياسية على معظم المستوطنات الفينيقية في غرب البحر تلاييبيض المتوسط ولنا أمثلة في التاريخ مشابهة لتأسيس مدينة قادس قبل غيرها من المستوطنات القرمية من فنيقيا . وعلى سبيل المثال نذكر سبق تأسيس مستعمرة كوما الاغريقية بسواحل ايطاليا الغربية للمستعمرات الاغريقية الام (60) . وكذلك تأسيس مستعمرات الهند البريطانية قبل غيرها من المستعمرات البريطانية الأخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية وسواحل افريقيا وجبل طارق التي كان يقصد من ورائها

حماية طرق الملاحة البحرية وفتح أسواق جديدة ، ثم السيطرة على الواقع الاستراتيجية .

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن سبق مستوطنة قادس في التأسيس كان مقصوداً لأنها كانت هدفاً في حد ذاتها خاصة إذا ما علمنا مدى احتياج دول شرق المتوسط الخامات المعادن في تلك الفترة الخامسة من تاريخ الإنسانية التي يمكن إلى حد ما أن نقارنها ببداية عصر التهضبة الأوروبية والكتشوفات الجغرافية في مستهل العصور الحديثة .

ب – المصادر المادية

تتمثل المصادر المادية للتاريخ الفنيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط في البقايا الأثرية التي تركتها هؤلاء الأقوام في الواقع التي حلووا بها . وقد ترجم الكثير من هذه المصادر المادية التي عبر عليها المتنقرون الأثريون في المقابر ، والمعابد ، ومحفظات المنازل إلى تقارير علمية مرفقة بصور ، وخرائط ، وجداروں تقويمية لكل الأشياء التي عثروا عليها وقد لوحظ بأن الفخار يشكل جزءاً كبيراً من هذه البقايا الأثرية الفنية . ولا زال التنقيب الأثري في بلاد المغرب لم يجد بعد الاهتمام المتقدم ، ولذلك لا نستطيع أن نحكم على ما ورد في هذه التقارير العلمية أو نعتبرها حقيقة مسلماً بها ما دمنا نعرف بأنها ليست الأخيرة ، وبأن قيمتها التاريخية ستتغير لمجرد الحصول على نتائج أثرية مغايرة لها (61) .

ويمكن أن نذكر باختصار بأنه ليست هناك شواهد أثرية فنية أكتشفت حتى الآن في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تشير إلى الوجود الفنيقي قبل عام 750 ق . م فيها عدا كتابة حجر نورا (Nora) التي عبر عليها في جزيرة سردينا ، التي نسب العالم البرايت (Albright) تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد . وبذلك فإنها ستكون معاصرة لمدينة قرطاجة (62) .

أما أقدم البقايا الأثرية في بلاد المغرب فانها تمثل فيما عثر عليه المتقب
الأثري الفرنسي سينتاس (P. Cintas) أخيراً في معبد الآلهة تانيت
بصلامبو (Salambo) في موقع مدينة قرطاجة القديمة والذي يتضمن
أجاجين (Urns) فخارية كانت تحوي عظام أطفال صغار قدموها قرائيين
بشرية لهذه الآلهة . وبمرور الزمن وازدياد بقايا الحش المضمحى بها ، فان
المعبد أصبح يتكون من ثلاث طبقات متراكمة فوق بعضها تختلف بقايا
كل طبقة منها عن التي تليها ، وأصبحت هذه الطبقات تعرف بـ تانيت
الاولى والثانية والثالثة (63) . وبمقارنة الادوات الأثرية الفخارية التي
عثر عليها في الطبقات الثلاثة مع تلك المماثلة لها في كل من فنيقيا الام
وببلاد الاغريق ، ومصر أعطت تواریخ تقریبیة لهذه الطبقات الثلاثة
(64) . ويعتبر ما عثر عليه من فخار في طبقة تانيت الاولى من أهم
وأقدم المصادر المادية لأنها تحتوي على بقايا فخار مستورد اغريقي الاصل ،
وتمايز وأختمام مصرية يعتقد سينتاس بأنها معاصرة أو قریبة من بداية الوجود
الفنیقی في مدينة قرطاجة (65) .

وتتلخص قيمة اللقى والمستورادات الاجنبية التي عثر عليها في موقع
المغرب في أنها تساعده الباحث في ثبات وتحديد التاريخ المغربي ، وخاصة
لالقاء الضوء على مشاكل بدايات الاستيطان الفنیقی . وحيثما نفتقر إلى
هذه العناصر المساعدة يسود الظلام من جديد وقد عثر أيضاً سينتاس في كل
من قرطاجة وأوتيكا على نوعين من القبور تعود بقاياها الفخارية إلى
القرن السابع ق . م وقد لاحظ بأن هذا الفخار كانت تسيطر عليه بعض
المسات المحلية مما يدل على تأثر الفنیقین بالوسط المحلي وبده استقلالهم
الصناعي عن فنيقيا الام (66) .

وخلالص القول يمكن أن نقول بأن هناك عدم تطابق بين المصادر
الكتابية والمادية في اثبات بدء النشاط الفنیقی في غربی البحر الايضاً

وأن المصادر المادية لا زالت لم يتم تحريها بعد إلى درجة تسمح بالقطع في انعدام مساحتها . وهي الان عاجزة عن تغطية فترة لا تقل عن ثلاثة قرون متدة ما بين القرن الثاني عشر ق . م والقرن التاسع ق . م كانت المصادر الكتابية قد اعتمدت كبداية لتأسيس المستوطنات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الْمُسْتَوْطَنَاتُ الْفَنِيقِيَّةُ

أ — المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط .

— شبه جزيرة ابيريا — جزر البالياز — سردينيا — صقلية .

ب — المستوطنات في المغرب القديم (1).

1 — المستوطنات الباكرة :

— ليكسوس — أوتيكا .

2 — المحطات التجارية :

— شرقى قرطاجة — غربى قرطاجة .

المستوطنات الفينيقية

بعد الإشارة إلى مرحلتي الارتياح والاستيطان الباكرتين ، وشرح العوامل الاقتصادية والسياسية التي دفعت الفينيقيين إلى الهجرة والاستيطان في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، يجدر بنا في هذا الفصل أن نخصص الكلام حول المستوطنات الفينيقية المأمة في تلك المنطقة بجزئيها الشمالي والجنوبي ، وستتجنب اتباع التسلسل الزمني في هذا العرض وذلك لعدم توفر معلومات وافية ودقيقة حول تاريخ نشوء المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط ، وغموض علاقتها هذه المستوطنات بعضها ببعض .

أ – المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط

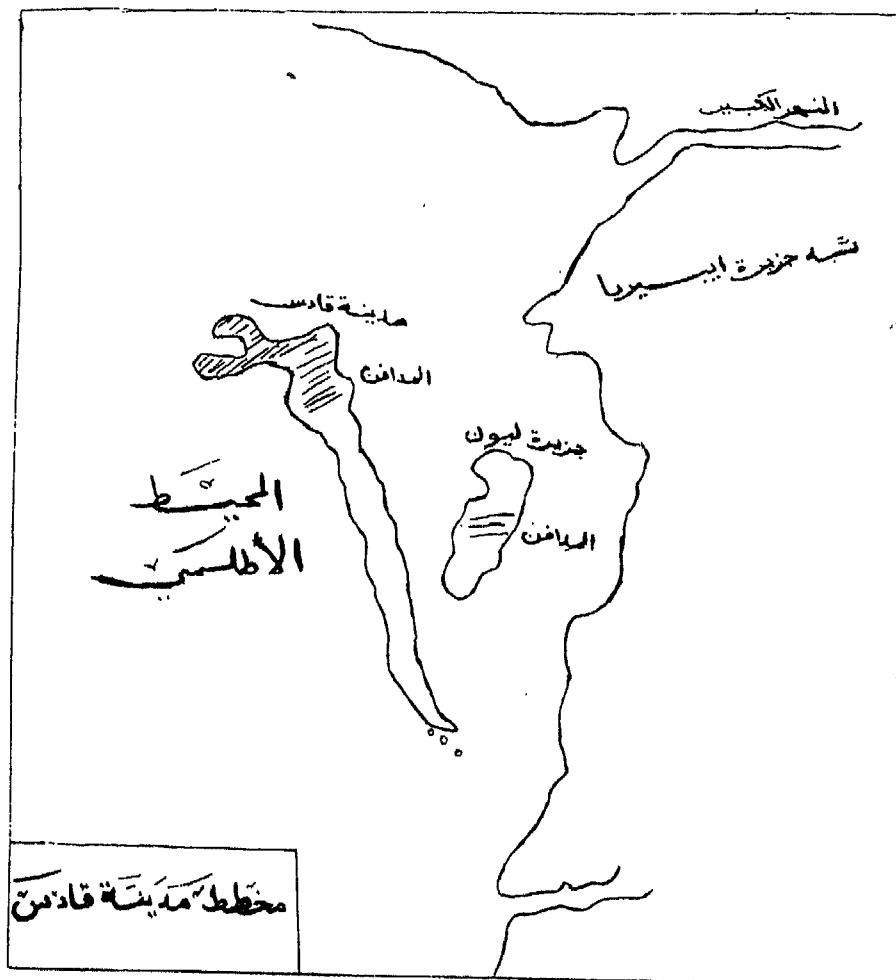
شبه جزيرة إيبيريا :

تعد مستوطنة قادس في شبه جزيرة إيبيريا من بين المستوطنات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وقد أسسها التجار الفينيقيون لأغراض اقتصادية والحصول على خامات المعادن كالفضة والقصدير ، والنحاس واستبدالها بالمواد المصنعة التي كانوا يجلبونها من شرق البحر الأبيض المتوسط . هذه العملية التجارية قدم المؤرخ ديودور الصقلي صورة عنها وعن ثروات إسبانيا من المواد الخام : « تتحتوي منطقة إيبيريا على كميات وفيرة من مناجم الفضة التي كان السكان المحليون يجهلون استعمالها ، ولكن التجار الفينيقيين الذين حلووا بالمنطقة كانوا يحصلون

عليها مقابيل كميات البضائع القليلة التي كانوا يجلبونها معهم من بلاد الاغريق وآسيا ، ومن بعض الشعوب الأخرى ، وقد حصل الفنيقيون من وراء ذلك على ثروة كبيرة ... كما أن ممارستهم لتجارة المعادن لمدة طويلة زادتهم قدرة وبالتالي سمح لهم بتأسيس عدد من المستوطنات سواء في صقلية والجزر القرقية منها أو في ليبيا وكذلك إيبيريا » . (انظر الشكل رقم 4 ، ص 80).

أما عن التاريخ الحقيقي لتأسيس مدينة قادس فان المصادر الكتابية والمادية لا تتفق على زمن التأسيس . فيبينا تتفق المصادر المادية عاجزة وفق الوضع الراهن للبحث الأثري عن إثبات وجود أي مستوطنة فنية في غرب المتوسط يسبق تأسيسها القرن الثامن ق. م. نرى أن المصادر الكتابية تحاول ارجاع تاريخ تأسيس مستوطنته قادس مثل غيرها من المستوطنات الفنية الباكرة إلى حوالي القرن الثاني عشر ق. م. من ذلك أن المؤرخ فيليوس باتركلوس (Veleius-Paterculus) يعيد تأسيس مدينتي قادس وأوتيكا إلى زمن عودة الهرقلين (Heacildes) إلى البيلوبيونيز الذي يُورخ له بحوالي 80 سنة بعد تهدم طروادة (3) . وقد بنيت قادس على جزيرة محاذية للساحل ، وهي في ذلك شبيهة بمدينة صور في شرق البحر الأبيض المتوسط . كما أنها كانت أيضاً تتمتع بنظام الميناءين المعهول به لدى الفينيقيين ، وقد التحتمت قادس مع اليابسة فيها بعد من جراء رسوبيات النهر الكبير الذي يصب بالقرب منها (4) . (انظر الشكل رقم 5).

ويجدد المؤرخ بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela) الناحية الطوبغرافية لمستوطنة قادس فيذكر « بأن جزيرة قادس كانت منفصلة عن اليابسة بذراع بحري صغير يشبه النهر ، وأن ضفتها المواجهة لمياه المحيط قد ارتفعت مكونة في وسطها اخناء يتنهى برأسين بنيت على أحدهما مدينة تحمل اسم نفس الجزيرة ، أما الرأس الثاني فقد وجد عليه معبد للاله



الشكل رقم ٥

هرقل المصري» (5).

وقد زالت معالم قادس الأثرية القديمة ولم يبق منها إلا بعض المقابر المنتشرة هنا وهناك في وسط شبه الجزيرة ، وعلى أطرافها ، غالباً ما تعود هذه المقابر إلى القرنين السابع والسادس ق. م. وما بعدهما (6). ويعتقد كثير من المؤرخين بأن مدينة قادس كانت قد حلّت محلًّا مدينة ترشيش القديمة التي قيل عنها في للتوراة بأن سفن ترشيش كانت تحمل للملك سليمان كل ثلاثة سنوات الذهب والفضة والعاج والقردة (7). ومن دراستنا للعلاقات الاقتصادية والسياسية التي كانت بين سليمان وحرام ملك صور خلال القرن العاشر ق. م. ندرك بأن ترشيش المشار إليها كانت تحت إشراف البحارة الفينيقيين ، وأن المعادن التي ذكرت كان يُؤتى بها من قادس التي حلّت محلًّا ترشيش منذ القرن الثاني عشر ق. م.

وقد أشار المؤرخ بلين (Pline) في كتابه التاريخ الطبيعي إلى هذا الموضوع بقوله «أن معنى قادس مكان حصين أو قلعة ، وأنها بنيت في مكان ترشيش القديمة ... ثم يضيف بأن ملك ترشيش أرجانثونيوس (Arganthonios) كان قد سكن مدينة قادس» (8). وتفس الشيء تشير إليه الكتابات التاريخية الحديثة حيث تذكر بأن اسم قادس سامي ، وأنها مأخوذه من الكلمة قادر (Gadir) التي تدل على القوة والمناعة (9).

إلى جانب قادس كانت هناك بعض المدن الفينيقية الأخرى موزعة في جنوب شبه جزيرة إيبيريا منها: مالقا (Malga) التي كانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتليحها وقد قيل بأن اسمها هي الأخرى سامي ، وهناك أبديرا (Abdera) ، وسيكسي (Sexi) وقد أسس القائد القرطاجي صدر بعل سنة 227 ق. م. مدينة قرطاجة في إسبانيا ، ثم أطلق الرومان عليها فيما بعد اسم قرطاجة الجديدة (Cartago-Nova) حتى يفرق في الاسم بينها وبين قرطاجة في بلاد المغرب ، وكان القائد سيبيون الذي سيعرف فيما بعد بسيبيون الأفريقي قد استولى على قرطاجة الجديدة في إسبانيا سنة

209 ق.م. ويعتبر استيلاده هذا إينداناً بزوال التفوذ القرطاجي في شبه جزيرة إيبيريا.

وفي اعتقادنا فإن الخدمات المعدنية والموقع الاستراتيجي لها اللدان جعلاً منطقة شبه جزيرة إيبيريا محطة أنظار كل من الفنقيين والإغريق، والرومان. وأن الصراع القرطاجي الروماني لم يكن صراعاً سياسياً بقدر ما كان ذا طابع اقتصادي.

جزر البالياز : من المحتمل أن يكون التجار الفنقيون قد نزلوا بجزر البالياز خلال رحلاتهم الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ولكن استطاعهم الحقيقي بجزيرة إبليزا (Ibiza) يعود إلى حوالي سنة 654 ق. م. أو كما يحدده بعض المؤرخين بحوالي 160 سنة بعد تأسيس مدينة قرطاجنة في بلاد المغرب (10). وكان الفنقيون الذين أسسوا مستوطنة إبليزا قدمواءن مدينة قرطاجة التي آلت لها زعامة المستوطنات الفنيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة. ومن المرجح أن الهدف من تأسيس مستوطنة إبليزا في جنوب البالياز كان عسكرياً بالدرجة الأولى. إذ أنها كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للاسطول الفنقي الذي كان ينطلق منها إلى الشواطئ العوميدية جنوباً والابيرية غرباً.

ومن جهة أخرى كانت إبليزا تقع على الطريق الرابطة بين المستوطنات الفنيقية في شبه جزيرة إيبيريا وجزيرة سردينيا (11). وقد عبر في جزيرة إبليزا على أحواض قدية أثرية يتحمل بأنها كانت مخصصة لتجفيف الأسهاك والحصول على صباغة الارجون. وبالقرب من الأحواض المشار إليها عبر أيضاً على معبد للإلهة تانيت يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث ق.م. (12) ولم يستول الفنقيون على كافة جزر البالياز بل احتفظوا لأنفسهم بمراكز تجارية وحربية في إبليزا كما ذكرنا ثم عاشوا مع السكان المحليين الذين هم من أصل إبيري. وتشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن اسم مينورقة التي

هي لمحدى بنزر البالياز من أصل سامي ، وهو تحريف القائد القرطاجي ماغون (Magon) (13).

وعلى ذلك يمكن أن نقول بأن هدف الفنقيين من وراء الاستيطان في إيبيريا بالإضافة إلى الاحتفاظ الاقتصادي كان استراتيجياً خاصة عندما أحسوا برغبة التوسيع التجاري تحدو المدن الاغريقية جنوب صقلية ، للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية في شبه جزيرة إيبيريا التي كانت تمثل مصدراً لخامات المعادن الثمينة .

سردينيا : ثبت من الدراسات الأثرية التي أجريت في جزيرة ساردينيا بأن المستوطنات الفنيقية في هذه الجزيرة كانت قد انتشرت في الركن الجنوبي منها. وكانت أهم مدنها الفنيقية نورا (Nora) التي بنيت على شبه جزيرة ، وتتمتع بأهم ميناء في الجزيرة على الإطلاق وقد عبر المقيمون الأثريون في مدينة نورا على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فنيقية ثبت بعد ذلك ووزع كتابتها بأنها تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وهي بذلك معاصرة لبناء مدينة قرطاجة (14). بالإضافة إلى نورا هناك مدن فنيقية أخرى موزعة على الأطراف الجنوبيّة الغربية بجزيرة ساردينيا نذكر منها على سبيل المثال : سولكيس (Sulkis) التي كانت تقع على طرف جزيرة سان أنتيوخو (San-Antiocho) الحالية ، وكذلك كاراليس (Caralis) التي عبر فيها على قبور تعود إلى القرن الخامس ق. م. (15).

أما مدينة ثاروس فإن التنقيبات الأثرية لازالت متواصلة بها ، وهي مثل غيرها من المدن التي أشرنا إليها في جزيرة ساردينيا غنية بالبقايا الأثرية الفنيقية (16).

ويرى بعض المؤرخين بأن نزول الفنقيين في جزيرة ساردينيا يعود إلى حوالي نهاية الألف الثاني ق. م. وقد وقع ذلك عندما ارغمت زوابع

بحرية التجار الفينيقيين على التزول في شواطئ جزيرة سardinia الجنوبية الغربية (17). غير أن هذا الرأي الأخير لا يتفق مع ما توصلت إليه الاكتشافات الأثرية . وليس هناك في الكتابات التاريخية ما يشير إلى التوأجد الفينيقي في جنوب إيطاليا . غير أن الفينيقيين كانوا قد ربطوا علاقتهم التجارية مع شعوب إيطاليا ابتداء من القرن الثامن ق. م.

صقلية : كانت جزيرة صقلية في طليعة الواقع الاستراتيجية التي لفتت انتباه الشعوب الشرقية ، فتدفق إليها التجار الفينيقيون والإغريق في هجرات متتالية ، واستقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية ، ثم دفعوا بالسكان المحليين إلى المناطق الداخلية يفلحون الأراضي ويزرعونها.

وبحسب توكيديdes (Thucydides) « فإن الفينيقيين كانوا قد اجتلوا مراكز متقدمة في البحر حول كافة أرجاء جزيرة صقلية كذلك احتلوا الجزء الصغير الواقع قرب الشواطئ لكي يمارسوا التجارة مع الصقل (Sekelos) (سكان جزيرة صقلية الأصليين) . ولكن عندما جاء الإغريق عن طريق البحر بأعداد كبيرة تخلى الفينيقيون عن معظم هذه الواقع الشرقي وتجمعوا في غرب الجزيرة، في كل من موتيا ، وسوليس ، وبانورموس قرب الاليبيين (Elymes) لأن هؤلاء (الفينيقيين) تمسكوا بتحالفهم مع الاليبيين من جهة ، ولأن المسافة من هناك إلى قرطاجة تكون أقصر مما هي عليه من الجزء الشرقي » (18). وهناك من المؤرخين من يعترض على رأي توكيديdes مستدلاً على ذلك بالتحديات المغرافية الحديثة للمواقع الأثرية الفينيقية والإغريقية التي عثر عليها في جزيرة صقلية ، والتي تقسم جزيرة صقلية إلى قسمين أساسيين :

- أ) شرقي : ومعظم بقاياه الأثرية العائدة إلى الفترة الباكرة ذات طابع إغريقي .
- ب) غربي : ومعظم بقاياه الأثرية يسود فيها الطابع الفينيقي (19).

ويعتقد هؤلاء المؤرخون بأن غرض الفينيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية كان استراتيجياً أكثر منه تجاريًّا . ولذلك ركزوا استيطانهم في الناحية الغربية من جزيرة صقلية التي تعزز جانب أوتيكا وقرطاجة في الطرف الآخر من بلاد المغرب وايطاليا .

وكذلك السيطرة على المضيق الذي يربط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي (20) . بينما كانت أهداف الأغريق في أول الأمر في صقلية وايطاليا تغلب عليها فكرة استغلال الأرض ، ولذلك فراهم يصطدمون بالسكان الأصليين ويغتصبون أراضيهم الصالحة للزراعة ويكونون منها مستعمرات إسكان زراعية مستقلة عن بلاد الأغريق الأم . وعلى العكس من ذلك كان الفينيقيون يسلكون سياسة التحالف مع السكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة .

ومن بين المدن الفينيقية الهامة في جزيرة صقلية مدينة موتيا (Motya) التي بنيت على جزيرة في خليج محمي يقابل رأس بوته في بلاد المغرب (21) . وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على موقع موتيما حديثاً بأن الفينيقيين كانوا قد جلوا بها منذ القرن الثامن ق. م. وقد عاشوا في أول الأمر مع السكان المحليين من الصقلتين وجدوهم . هناك كما تدل هذه البقايا الأثرية خاصة الفخارية منها على أن الفينيقيين الذين أسسوا موتيما لم يكونوا قد قدموا إليها من مدينة قرطاجة . بل يغلب على الظن بأنهم جاؤوا من شمال سوريا وذلك للتشابه بين فخار موتيما والفخار الذي اكتشف في مدينة الميناء القديمة (على مصب العاصي) التي سبق تأسيسها منتصف القرن الثامن ق. م. (22) .

ولم تضعف مكانة موتيما إلا بعد الضربات التي تلقتها من الإغريق الذين قادهم الطاغية دونيسيوس في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد (23) . وفي حوالي سنة 398 ق. م. اتخد الفينيقيون ليليبياوم (Lilybaeum) عاصمة لهم بدلاً من موتيما . وكانت ليليبياوم (مرسالا حالياً) واقعة على ساحل

صقلية الغربي القريب من جزيرة موتيا (24). كما أنها من جهة أخرى كانت تقع على الطريق الرابط بين صقلية وقرطاجة ولذلك نرى أن أن الغزاة الأغريق والرومان الذين أبحروا إلى بلاد المغرب كانوا قد سلكوا هذا الطريق .

وكان بانورموس (Panormus) هي الأخرى مدينة فنيقية هامة لأنها كانت تحكم في خليج هام ، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها . ولم يُؤسس الفنقيون مدينة سولكيس (Sulcis) إلا في حوالي القرن السادس قبل الميلاد ، وكان الغرض من تأسيسها الوقوف في وجه التوسع الأغريقي نحو غرب صقلية (25).

هذا وقد كانت المدن الفنيقية التي أشرنا إليها في صقلية أكثر تقدماً من مثيلاتها في بلاد المغرب . وذلك لكثر احتكار الفنقيين في صقلية بكل من الأغريق والاتروسكيين الذين كانوا على غاية كبيرة من التقدم الحضاري ، من ذلك مثلاً : أن المدن الفنيقية في صقلية كانت بدأت تمارس سك العملة منذ القرن السادس ق. م. بينما بقيت قرطاجة تتبع أسلوب المقايسة في عملياتها التجارية مع سكان بلاد المغرب حتى القرن الثالث ق. م.

ومهما يكن فإن معلوماتنا عن أسبقيّة الوجود الفنيقي في جزيرة صقلية والعلاقات الباكرة بينهم وبين الأغريق لا زالت غامضة ، وما زالت المعلومات حتى الآن تعتمد بالدرجة الأولى على المصادر الكتابية الكلاسيكية ، وبخاصة في الفترة الباكرة .

مالطة : أما بقصد جزيرة مالطة التي يحتمل أن يكون اسمها سامي بمعنى (ملط : أي هرب) ، فقد وجدت فيها قبور فنيقية يحتمل أن يعود تاريخها إلى القرنين التاسع والثامن ق. م. كما وجدت بها مقبرة بونية أيضاً يعود تاريخها إلى القرن الخامس ق. م. وما بعده (26). وحسب ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) فإن سكان جزيرة مالطة كانوا من أصل

فنيقي (27). وقد اعتمد هذا المؤرخ في ابداء رأيه على بقاء اللغة البوئية متداولة بين سكان الجزيرة في عهده .

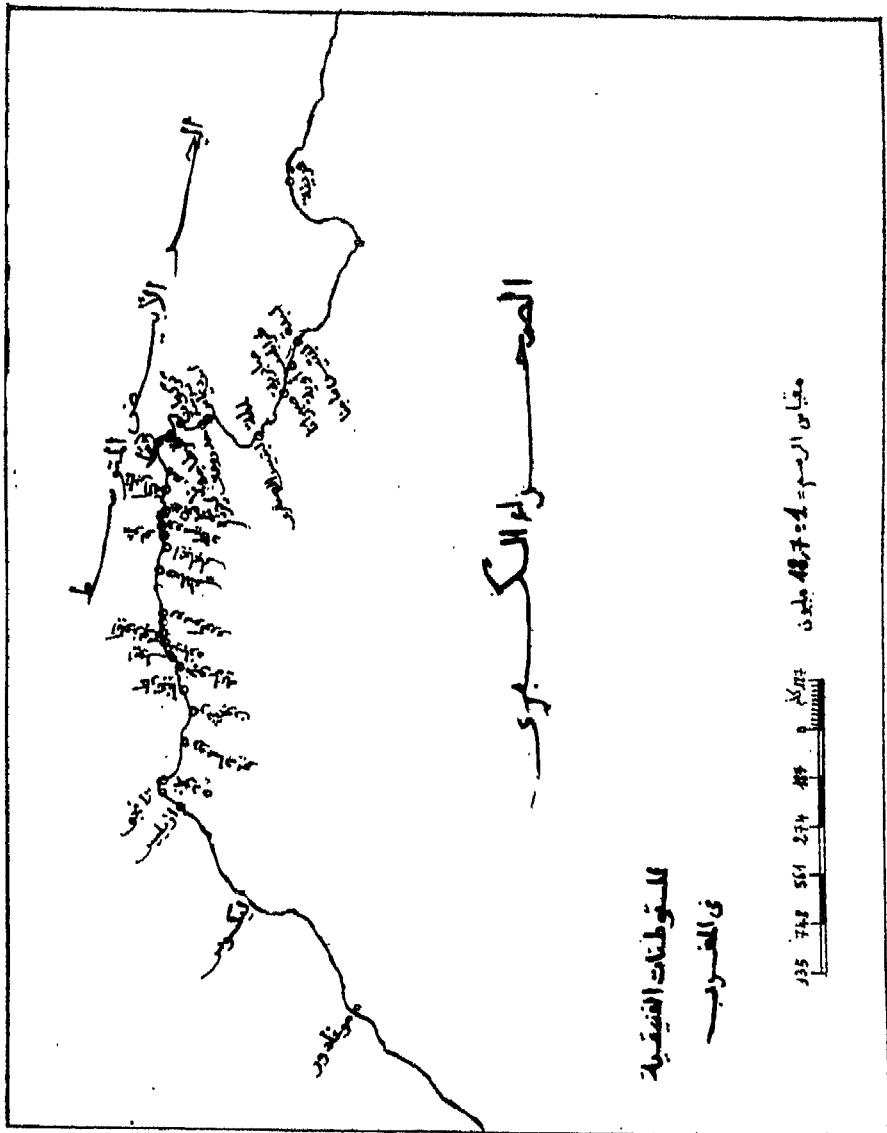
ب - المستوطنات في المغرب القديم

1 - المستوطنات الباكرة :

ليكسوس : كانت مدينة ليكسوس (Lixus) من أبرز المستوطنات الفينيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي. وتشير الكتابات التاريخية إلى أن تأسيس هذه المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق. م. وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقيين الذين قدموا من شرق المتوسط ، وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس وسابقة لمدينة أوتيكا (28). وكان الغرض الذي أسست من أجله ليكسوس استراتيجياً وتجارياً ، ذلك لأنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلسي ، وقد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق. م. فحصلوا منها على المترجمين الذين كانوا يساعدونهم في فهم لهجات سكان المناطق التي تقع إلى الجنوب منها . وقد أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس (نهر درعا حالياً) (29). الذي يصب في المحيط الأطلسي مكوناً خليجاً صالحًا للملاحة .

ويقوم موقع المدينة حالياً على تل مرتفع يبعد حوالي ٤ كلم شمال مدينة العرائس وقد عرفت مدينة ليكسوس في الماضي باسم مدينة تشميش (Themisch) أي مدينة الشمس (30).

ويذكر بليني بأن مستوطنة ليكسوس يجب أن تكون أبكر من قادس وأوتيكا . ويستدل على ذلك بأن معبد الإله هرقل (ملقارب) في ليكسوس أبكر من مثائله في قادس (31) . (أنظر الشكل رقم 6 ص 92).



الشكل رقم — ٦

ومن جهة أخرى بدأت التنقيبات الأثرية في بقايا مدينة ليكسوس منذ حوالي سنة 1845 على يدبعثة الالمانية التي كان يقودها العالم الأثري بارث Barth واستطاع هذا العالم أن يحدد معالم المدينة القديمة . وفي سنة 1925 تولت التنقيب في نفس المكان المشار إليه ، بعثة اسبانية كان مركزها مدينة تطوان ، ولم تصل إلى نتيجة إلا بعد سنة 1948 عندما تولى الاشراف على التنقيب في مدينة ليكسوس العالم الأثري الاسپاني تاراديل

الذى استعمل الطرق العلمية الحديثة في التنقيب ثم تعمق في الحفر حتى بلغ الأرض العذراء ، ونتج عن أعماله ظهور عدة طبقات متراكمة بقايا الطبقة السفلی منها تتضمن كسرًا فخارية مغطاة بلون أحمر لامع مصقول مما يؤكد قيام محطة فنية دائمة يعود تاريخها إلى ما بين القرنين السابع وال السادس قبل الميلاد ، وهناك شبه بين فخار ليكسوس والفخار الذي عثر عليه في قبور مدينة قرطاجة (32). وقد وجد في الناحية الغربية من مدينة ليكسوس أحواض أصطناعية يعتقد بأنها كانت تستعمل لاستخراج الأملاح من مياه المحيط (33).

وعلى ضوء الدراسات المقارنة يمكن أن نقول بحق بأن مستوطنة ليكسوس كانت من أهم المستوطنات الفينيقية . وكانت علاقة ليكسوس بقادس أحسن بكثير من علاقتها بقرطاجة في بلاد المغرب ، ويمكن أن يكون ذلك راجعاً إلى قصر المسافة التي تربط بينهما ، وإلى طبيعتهما البحرية على المحيط الأطلسي (34).

أوتيكا : يذكر المؤرخ ستراابون Strabon بأن التجار الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدنًا على شواطئ البحر الخارجي ، وأيضاً بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة (35). ويشير في مكان آخر إلى أن الفينيقيين كانوا قد وضعوا يدهم على أفضل الأماكن في شبه جزيرة إيبيريا وفي ليبيا قبل عصر هوميروس (36). (أنظر الشكل رقم 6، ص 92).

ندرك من هذين النصين القصصيين أن التجار الفينيقيين حلوا ببلاد المغرب منذ القرن الثاني عشر ق. م. وأن مستوطنة أوتيكا Utica هي الأخرى كانت قد أسست منذ هذه الفترة . خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار موقع أوتيكا في وسط سهول شمال تونس التي تعتبر من أجواء الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة ، وقد ورد أيضاً في بعض الكتابات التاريخية بأن تأسيس أوتيكا يسبق نشأة قرطاجة بحوالي 287 سنة . مما يجعلنا نستنتج استناداً إلى هذه المعلومات بأن تأسيس أوتيكا تم في حوالي عام 1101ق (37)

أما الغرض الذي أنشئت من أجله مستوطنة أوتيكا فقد كان اقتصادياً، ونظرآً لموقعها في منتصف الطريق بين صور وقادس (أي ترشيش) فقد ساعدت في بادئ الأمر على ربط الصالات التجارية بين فنيقيا والأم ومستوطنة قادس التي اشتهرت بعنادها العدني علاوة على ذلك كانت أوتيكا تمثل محطة تجارية يلتقي فيها سكان المغرب بالتجار الفينيقيين لتأمين المصالح التجارية ، وعندما كبر عدد التجار المهاجرين الذين استقروا في في أوتيكا انقلبت هذه المحطة إلى مستوطنة اسكان وقد فسر بعض المؤرخين هدف الفينيقيين من وراء الاستيطان في أوتيكا أنه كان بدافع الحصول على كميات القمح التي تنتجه سهول شمال تونس .

ويعمل هؤلاء المؤرخون تفسيرهم هذا بالاتفاقية الاقتصادية التي تمت بين أحيرام ملك صور ، وسلیمان الحكيم ملك العبرانيين خلال القرن العاشر ق. م. حيث تلقى فيها الصوريون كميات من الأغذية مقابل الأخشاب والخبرات الفنية التي قدموها للعبرانيين (38) .

أما المصادر المادية فإنها تشير إلى أن أوتيكا كانت قد أسست على مرتفع من الأرض بالقرب من مصب نهر مجردة الذي يغطي بظمه موقعها حالياً . وهي الآن بعيدة عن البحر بحوالي 10 كيلومترات . أما المسافة التي تفصلها عن مدينة قرطاجة فتقدر بحوالي 15 ميلاً (39) . وقد عبر في أوتيكا على نوعين من القبور المبنية بالحجارة تعود بقايا أقدمها إلى القرن

الثامن ق. م. بينما لا تتجاوز بقايا المجموعة الثانية القرنين السابع وال السادس ق. م. وما بعدها (40). ومن بين الأشياء التي عثر عليها في حفر عميقه كانت تحت قبور أوتيكا بقايا فخارية بسيطة الصنع يغلب عليها الطابع المحلي . مما أدى بالباحثين الآثريين إلى استنتاج قدمها عن تلك التي عثر عليها في قبور قرطاجة . وتتألف البقايا المادية المكتشفة في أوتيكا والتي عثر عليها في قبور يترافق عهدها بين القرن الثامن والرابع ق. م. من أواني فخارية متعددة الألوان ، وخرافات وجعلانات ، وتماثيل قدمت كهدايا نذرية (41).

وعلى أية حال فالنتيجة التي نستخلصها من دراستنا للبقايا المادية في مدينة أوتيكا تشير إلى أن هناك ثغرة بين معطيات المصادر المادية ، ومعطيات المصادر الكتابية ، وهذه الثغرة لا زالت تنتظر الاستكمال حتى يتم الاتفاق حول تأسيس هذه المدينة ، ولعل نتائج الأبحاث الأثرية المتواصلة في كل من أوتيكا وقرطاجة ستغطي هذه الفترة في المستقبل .

أما علاقة أوتيكا بقرطاجة فقد كانت على ما يبدو في أول الأمر علاقة ود وثام . وكان لكل مدينة منها كيانها الخاص . ويمكنا أن نستنتج ذلك من المعاهدة الأولى التي عقدها قرطاجة مع روما حوالي سنة 508 ق. م. حيث أن اسم أوتيكا لم يشر إليه ضمن هذه المعاهدة بينما المعاهدة الثانية التي أبرمت سنة 348 ق. م. بين نفس الدولتين المشار اليهما تضمنت اسم أوتيكا إلى جانب قرطاجة . وأيضاً ذكر اسم أوتيكا في المعاهدة التي عقدها هنبيل باسم قرطاجة عندما كان في إيطاليا سنة 215 ق. م. مع فيليب الخامس ملك Макدونيا .

والإشارة إلى اسم أوتيكا بجانب قرطاجة خلال المعاهدتين الأخيرتين يجعلنا نعتقد بأن أوتيكا كانت مرتبطة بقرطاجة (42). وقد حاولت أوتيكا أن تستغل ضعف قرطاجة خلال ثورة الجنود المرتزقة سنة 240 ق. م. وتخرج من صفها ، إلا أن هamilcar برقة (Hamilcar-Barca) الذي تسلم

مقاليد الأمور للقضاء على هذه الثورة استطاع أن يسترد أوتيكا إلى صيف قرطاجة بعد القضاء على ثورة الجنود المرتزقة عام 237 ق. م. وقد بقي التنافس الداخلي سائداً بين قرطاجة وأوتيكا حتى أتيحت الفرصة من جديد لهذه الأخيرة للانفصال عن جارتها قرطاجة خلال الحرب البونية الثالثة 149 – 146 ق. م. عندما أحست برجحان الكفة لصالح الرومان.

انضمت أوتيكا إلى الرومان وفتحت أبوابها للجيش الروماني بقيادة سيبيونAMILIANS الذي عسكر فيها ، وطلب من قرطاجة أن تقاد لشروطه حتى ترهن عن نواياها السلمية (43). وبعد تدمير قرطاجة أصبحت أوتيكا المركز الإداري والسياسي لإفريقيا الرومانية كاعتراف لها باللحظات من طرف مجلس الشيوخ الروماني . كما نالت حق حرية الملاحة مثل بقية المحطات الفنية الأخرى التي تخلت عن مساعدة قرطاجة أثناء حربها الأخيرة لروما (44).

٢ – المحطات التجارية :

لكي تكون دراستنا ملمة لطبيعة التوسيع الفنيقي في بلاد المغرب القديم وبناء المستوطنات الدائمة ، لا بد أن نوجه عدتنا بالمثل إلى محطات الإستراحة وأسواق التجارة التي كان لها دور فعال في تقوية العلاقات الاقتصادية والاجتماعية سواء بين الفنيقيين فيما بينهم ، أو بين هؤلاء والسكان المحليين. وقد كانت محطات الاستراحة وأسواق التجارة الفنيقية موزعة باحكام على كامل سواحل بلاد المغرب . وتشير الكتابات التاريخية إلى أن عدد هذه المحطات التجارية كان قد بلغ حوالي 300 محطة تجارية ، وحسب سترايون الذي يذكر بالاستناد إلى ايراتوسين (Eratos Thene) أقام الفنيقيون حوالي 300 محطة في البحر الخارجي (45).

ولكي نتجنب الالتباس فالثانية لن ندرس هذه المحطات التجارية ككل

بل، ستصنفها إلى فتدين ، متخددين في ذلك مدينة قرطاجة مركزاً فاصلاً : وعلى ذلك يكون لدينا المحطات الواقعة شرق قرطاجة ، يقابلها في الطرف الآخر المحطات المنتشرة في الجهة الغربية منها .

شرقي قرطاجة :

شملت المحطات التجارية الفينيقية كامل سواحل بلاد المغرب الشرقية ابتداء من الحدود الشرقية لخليج السرت حيث كانت توجد مستعمرة قرينة (Cyranica) الإغريقية وإلى مدينة قرطاجة غرباً

وبالاستناد إلى المؤرخ سالوست (Salust) « كان بعض الفينيقيين قد هاجروا إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بداعي تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفينيقي ، والبعض الآخر كانت له رغبة السيطرة والتوسيع . أما الفئة الثالثة فكان همها الوحيد هو الربح التجاري والحصول على المواد الخام . ومن أجل ذلك كله أسسوا على شواطئ البحر كل من هيبون (Hippo) ، وسوسة (Hadrumet) ولبدة (Liptis) ومدنًا أخرى . وقد نمت هذه المستوطنات بسرعة حتى بلغت قمة الازدهار مما جعلها تستمر في دفع المساعدات الرمزية للمدينة الأم » (46). غير أن هذا النص يسوده بعض الغموض خاصة في ذكر أسماء مدينتي لبدة (Liptis-Magna) وهيبون (Hippo-Rilsius) وذلك لوجود مدينتين آخرتين تتفقان معهما في الاسم هما مدينتا لمطة (Liptis-Minor) وبتررت (Hippo-Zarit) كذلك نجد هذا النص حالياً من أي تحديد زمني . (أنظر الشكل رقم 6 ، ص 92 .).

وبالمقارنة مع نتائج الأبحاث الأثرية التي أجريت على أطلال هذه المحطات القديمة والتي يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن السادس ق. م. فإنه يحتمل بأن الفينيقيين كانوا قد حلوا بالمنطقة منذ ارتياحهم الياسك ، ولكنهم

لم يستقروا فيها أو تكون لهم محطات ثابتة إلا في بداية العهد القرطاجي عندما أحسوا بخطر التوسع الاغريقي المتمركز في قرية بلبيبا والزاحف نحو الغرب (47). وكانت أهم المحطات القرطاجية في خليج السرت هي : مدينة لبدة التي كانت بمثابة المركز الدفاعي والإداري لمحطات خليج السرت القريبة منها ، وتدل البقايا الأثرية التي اكتشفت في لبدة على أنها تابعة ازدهارها حتى العهد الروماني وكانت لبدة تدفع الضرائب إلى مدينة قرطاجة كبقية المحطات الأخرى القريبة منها ، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن قرطاجة كانت خلال القرن الثاني ق. م. قد رفعت ضرائبها على المحطات التجارية الواقعة شرقها بما فيها لبدة إلى حوالي وزنتين (Talents) في اليوم (48).

أما بالنسبة لمخطي طرابلس (Oea) وصبراته (Sabratha) فقد كانتا من بين المراكز التي تمثل بحق النشاط التجاري القرطاجي ، بحيث كانت تلتقي عند هاتين المدينتين الطرق التجارية التي تشق الصحراء الكبرى وترتبط البحر الأبيض المتوسط ببلاد السودان ، وأعلى نهر النيجر . وقد ورد بأن أحد القرطاجيين واسمه ماغون (Magon) كان قد قطع هذا الطريق الصحراوي ثلاث مرات دون أن يتزود بالماء . مما يدل على أن جفاف الصحراء كان مغايراً لما هو عليه الآن ، بل كانت تتحلله ينابيع ماء عبر هذا الطريق الصحراوي (49). ومنذ القرن الخامس ق. م. بدأ القرطاجيون يتصلون مباشرة بمحاصد الموارد الخام في إفريقيا الاستوائية التي كانوا سا يتجرون بها مثل تبر الذهب ، والحجارة الكريمة والعاج ، والعبيد وجلود الحيوانات المفترسة ، بينما كان الفنيقيون قبل ذلك يعتمدون على الوسطاء من قبائل الغرامانت الذين كانوا متشردين في الصحراء (50). وتسير البقايا المادية التي عثر عليها في مدينة صبراته سنة 1951 إلى أن هذه المدينة كانت قد ازدادت أهميتها منذ القرن الخامس ق. م. بحيث أن منازلها في هذه الفترة أصبحت تبني بالاجر ، وأسس منازلها كانت من الحجارة المربعة (51) وبالاضافة إلى ما تقدم ، هناك بعض المراكز التجارية الأخرى التي

تمتد على كامل الساحل فيما بين صبراتة وحدرومت، وهي أقل أهمية من ناحية التجارة الخارجية وتشمل هذه المراكز قابس (Thacapab) وأشولة (Thapsus) التي أسسها فنيقيو مالطة وكذلك رأس الديماس (Acholla) التي عبر فيها هي الأخرى على مدافن تعود إلى القرن الرابع ق.م. أما مدينة مهدية فإن بقايا قبورها الجنائزية تعود إلى القرن الخامس ق.م. وتشير الوثائق الكتابية من جهة أخرى بأن مدينة مالطة (Liptis-Minor) يمكن أن يعود تأسيسها إلى العهد الفينيقي الباكر (52). ويتبين من بقايا مدينة حدرومت (أي سوسة اليوم) الأثرية العائد إلى القرن السادس ق.م. بأن هذه المدينة كانت تتمتع بميناء تجاري هام، كما كان يربطها بقرطاجة طريق بري داخلي تجوبه القوافل ، وورد اسم سوسة في نص سالوست الذي أشرنا إليه . وكانت هذه الأخيرة من المحطات التجارية الفينيقية الأولى التي أنشئت على سواحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ثم ازدادت أهميتها في العهدين القرطاجي والروماني . وكان هنيبعل عند عودته مع جيشه من حروبها في إيطاليا سنة 208 ق.م.

— استجابة لنداء مجلس الشيوخ ، الذي كان قد دعا للدفاع عن مدينة قرطاجة — نزل بمدينة ملطة ثم اتجه منها إلى مدينة سوسة التي استعد فيها لمقابلة سبيون الأفريقي في معركة زاما (Zama) سنة 202 ق.م. (53).

وعلى طول المسافة الساحلية بين سوسة وقرطاجة أنشئت على التوالي: نابلس (Neapolis) وكيراكون (Korkowane) في رأس بونة : وقد عبر في موقع هذه الأخيرة على جدران وأرضيات غرف يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والثالث ق.م. ويحتمل بأنه كانت هناك محطات أخرى في منطقة رأس بونة اندثرت معالمها الأثرية بمرور الزمن ولم يبق منها إلا بعض الشواهد القليلة (54).

غربي قرطاجة :

تمتد هذه المحطات والمراكز التجارية هي الأخرى على بقية سواحل بلاد المغرب ابتداء من قرطاجة شرقاً حتى أعمدة هرقل غرباً (مضيق جبل طارق حالياً) ، ثم تنطفئ بعد ذلك جنوباً على سواحل القارة الأفريقية الشمالية الغربية حتى ليكسوس .
وتتابع جنوباً مشكلة سلسلة المراكز التي أنشأها حنون حوالي نهاية القرن الخامس ق. م.

أما محطة بنزرت (Hippo-Zarit) الواقعة غرب أوتيكا ، فأنها تعتبر أول محطات غربي قرطاجة ، وقد أسست بنزرت على شواطئ بحيرة صغيرة كان يربطها بالبحر خليج تعبّر السفن إلى البحيرة المذكورة فتصبح في مأمن من اضطرابات أمواج البحر وهيجانه (55). ويستنتج من بقايا بنزرت القديمة بأن هذه المدينة عرفت ازدهاراً كبيراً خلال القرنين الخامس والرابع ق. م. وكانت عنابة (Hippo-Rigius) تمثل مركزاً إدارياً للجهات القرية منها ، وازدادت أهميتها في العهد الروماني حيث كانت تمثل الحدود الفاصلة بين مقاطعات إفريقيا ونوميديا (56).

وعلى مسافة غير بعيدة من عنابة غرباً توجد سككيكدة (Ruscinade) التي عبر فيها على بقايا أثرية تعود إلى القرن الثالث ق. م. وكانت لها صلات قوية بمدينة قسنطينة (سيرتا) الواقعة في الداخل (57). بينما تشير بقايا القبور العائدة إلى القرن الثالث ق. م. التي وجدت في جيجيل (Igiliqia) بأنه كان للقرطاجيين محطة تجارية تقع بالقرب من مدينة جيجيل الحالية (58).

وقد حل التجار القرطاجيون أيضاً ببجاية (Rusuccur) ودلس (Saldae) دلت على ذلك البقايا الكتابية والنقود التي عبر عليها في عدة أماكن منتشرة على كامل الساحل الممتد ما بين بجاية ودلس خلال حفريات سنة 1914 (59). وما لا شك فيه بأنه كان للقرطاجيين بخليج الجزائر

(Icosium) الذي كان محمياً من الرياح محطة تجارية هامة ، نستنتج ذلك من قطع النقود القرطاجية التي تعود إلى فترة متأخرة من الوجود القرطاجي في بلاد المغرب . وهناك أسطورة تزعم تأسيس (إيكوزيوم) إلى رفاق الإله هرقل الذي يحتمل أن يكون هو الإله ملقارب الذي عرف معبده في مدینة صور (60).

كما أن الكتابة التاريخية تشير من جهتها إلى أنه كان للجزائر مجلس قضاء قبل الاحتلال الروماني (61).

بالاضافة إلى ما ذكرنا كانت تيبازا (Tipaza) لواقعة إلى الشرق من شرشال تمثل محطة فينيقية تعود بقاياها المادية إلى حوالي القرن السادس ق.م. غير أنه يلاحظ بأن محطة تيبازا في العهد القرطاجي كانت لا تستعمل إلا لصيد الأسماك أو الالتقاء بالسكان المحليين للتبادل التجاري (62). وبالعكس من ذلك فان شرشال (63) كانت من المحطات الفينيقية الهامة التي عثر فيها على بقايا برونز ، وفخارية وجدت عليها كتابة فينيقية . كما أن اسمها الحقيقي (ايول) يعتقد بأنه أحد أسماء الآلهة الفينيقية . وكانت شرشال تحتوي على ميناءين خصص أحدهما للتجارة ، والآخر للاسطول الحربي على الطريقة الفينيقية (63). وعلى مسافة 33 كيلم إلى المغرب من شرشال أنشئت محطة جورايا (Gunugu) التي يستنتج من بقاياها الفخارية بأن القرطاجيين كانوا قد امتهنوا بالسكان المحليين ، وأن عادة دفن جثة الميت لدى سكان جورايا كانت تم وفق الطريقة الشرقية التي كان يتبعها الفينيقيون ، مما يؤكد حقيقة هذا الامتداج خاصة في فترة القرن الرابع ق. م. وما يليها (64).

وقد ورد اسم تننس (Cartennae) في قائمة أسماء المحطات والمراكز التجارية الفينيقية في بلاد المغرب ، إلا أن اسمها القديم (كارتينا) لم تعرف به إلا في العهد الروماني (56). ويظهر التأثير الفينيقي واضحآ في البقايا

المادية التي عبر عليها في كل من سيقا (Siga) ومليلة (Rusadur) العائدة إلى القرن الثاني ق. م. (66).

أما بالنسبة لتطوان (Tamuda) ، وطنجا (Tingi) فقد كان الغرض من تأسيسها ضمان الاتصال بين المستوطنات الفنية في كل من شواطئ بلاد المغرب وجنوب غرب إسبانيا (قادس) (67).

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان مضيق جبل طارق كان وما يزال يعتبر بمحابة بوابة للدخول إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ولذلك فهو يعد من الأماكن الاستراتيجية التي يجب التحكم فيها ، لاسيما في فترة التوسع القرطاجي خلال القرنين السادس والخامس ق. م. اللذين أصبح الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فيهما بحيرة قرطاجية (68). (أنظر الشكل 6 ، ص 92).

وخلال هذه القول ، يمكن أن نلاحظ بأن اهتمام الفنيقيين وتركزهم في الساحل الشرقي من قرطاجة كان أكثر منه في الساحل الغربي منها ، وهذا يمكن أن يكون راجعاً إلى طبيعة هذا الأخير الذي كان معرضًا للرياح الشمالية ، وحالياً من الخليجان الصالحة للارساء بالإضافة إلى أنه كان صخرياً في معظمها . ولم يعن القرطاجيون بهذا الساحل الغربي إلا بعد هزيمتهم في معركة هيمرة سنة 480 ق. م. أمام قوة المدن الإغريقية في صقلية . وقد اتجهوا بعد ذلك وجهة أفريقية بغية تعويض ما فقدوه في صقلية .

أما إذا تساءلنا ، لماذا لم ينفذ الفنيقيون إلى داخل بلاد المغرب ، واكتفوا ببناء المستوطنات والمحطات التجارية على السواحل ؟

فإننا يمكن أن نعيد ذلك إلى عدة أسباب منها :

1) وجود سلسلة جبال الأطلسي الصعبة المسالك والتي تسير شبه

موازية للساحل كانت تمنعهم من التفозд إلى الداخل فيما عدا بعض المرات الضيقية التي كانت تتبع مسالك الوديان المتوجهة نحو الداخل .

2) طبيعة الفنقيين البحريه كانت تحمي عليهم التعامل مع سكان السواحل التي كانوا ينزلون بها في طريقهم إلى مناطق المعادن الشمية في إسبانيا ، وافريقيا الاستوائية .

3) اعتماد الفنقيين على علاقتهم الطيبة مع السكان المحليين في بلاد المغرب جعلتهم يحصلون على متوجات المناطق الداخلية بدون عناء عن طريق هؤلاء السكان الذين كانوا يتعاملون معهم بواسطة المقابلة .

وعلى سبيل المقارنة نستطيع أن نلمس هنا مردود العلاقات الإسلامية المعتمدة على المصالح الاقتصادية والحضارية المتبادلة بين سكان المغرب والقادمين الحدد من الفنقيين . بينما على العكس من ذلك كانت سياسة الرومان فيما بعد تعتمد على السيطرة وتهدف إلى تحويل المغرب القديم إلى مستعمرة تخدم الاقتصاد الروماني وحده وتشبع رغبة العسكرية الرومانية . ولذلك نجد أن الرومان كانوا قد نفذوا إلى المناطق الداخلية ، وبنوا مدنًا وقلاءً عسكرية لا زالت آثارها تشهد حتى وقتنا الحاضر وقد كانت بلاد المغرب في العهد الروماني تعرف بأهراء روما للقمح (Grniers de Rome)

الفَصْلُ الخَامِسُ

مَسْتَوْكَانَةٌ قَرْطَاجَةٌ

أ) تاريخ نشوء قرطاجة .

1 – الوثائق الكتابية .

2 – الناحية العلبيغرافية .

ب) النشاط الاقتصادي :

– التجارة – الصناعة – الزراعة .

مستوطنة قرطاجة

أ - تاريخ نشوء قرطاجة

1 - الوثائق الكتابية

تکاد المصادر الكتابية تتفق على اعتبار سنة 814 ق. م. تاريخاً رسمياً لتأسيس مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين الفنتيقين ، على اعتبار أن تأسيسها كان قد سبق بدایة الالعاب الاولمبية الأولى (776 ق. م.) بحوالي 88 سنة ، وتأخر عن بناء مدينة أوتیكا بقدر 287 سنة (1).

وفي نصوص للمؤرخ اليهودي يوسيفوس (2)، ألفها بالاستناد إلى الكاتب الهلنستي ميناندروس الافيسوسي الذي استند على وثائق ملوك من مدينة صور ، سجل فيها تسلسل ملوك المدينة الذين حكموا لمدة قرن ونصف من الزمن ، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي جدت في عهودهم ، وقد أشار يوسيفوس إلى أن بعماليون كان قد عاش 56 سنة تولى الحكم خلاها لمدة 47 عاماً ، وفي السنة السابعة من حكمه فرت أخته أليسا إلى ليبيا (Libya) حيث أسست هناك مدينة قرطاجة (3) وبالاستناد إلى قائمة حكم ملوك مدينة صور نفسها يشير المؤرخ يوسيفوس إلى أن هذا الحدث (أي فرار أليسا) تم بعد مئة وخمسة وخمسين سنة وثمانية أشهر من استلام أحيرام حكم صور وكان هذا الأخير حليفاً للملكين داود وسليمان .

مختوى أسطورة اليسا وبناء مدينة قرطاجة

« تذكر الاسطورة بأنه بعد وفاة الملك مтан يقى الحكم لابنيه أليسا وبغماليون . وكانت أليسا على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باس الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت الذي كان موفور الثروة وقد خشي عاشر باس على ثروته من اللصوص فدفنها تحت جدران المعبد وعندما بلغ نيا الكثيرون المدفون بغماليون الذي كان هو الآخر شغوفاً بالمال اعتقد بأن الحبيطة إنما اخندت من أجله فقتل زوج اخته بغية الحصول على ماله . غير أن أليسا عرفت كيف تحتمل على أخيها بظاهرها أمامه بعدم الاكتراث بالحادثة التي كانت تقطع قلبها خفية ، وعندما آمنت شر أخيها حملت أموال زوجها وأبحرت بها صاحبة موئدها إلى قبرص حيث انضم إليها كاهن جونو بعد أن ضمن لنفسه ولاسرته من بعده الاشراف الديني في المدينة الجديدة . كما حملت اليسا معها من قبرص ثمانين فتاة من فتيات المعبد لي يكن أزواجاً للشباب الذين كانوا معها . أبحرت بعد ذلك إلى بلاد المغرب فتركت بالقرب من مدينة أوتيكا . وقد رحب بها سكان المنطقة من المغاربة الذين ابتعاثت منهم قطعة أرض مقدار جلد ثور قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مديتها الجديدة (قرطاجة) .(4).

ويستنتج من أسطورة بناء مدينة قرطاجة أن هناك اضطرابات سياسية داخل البيت المالك في مدينة صور نتج عنها انسحاب الحزب المهزوم إلى المناطق النائية ، ليبدأ حياة جبلية ، وقد امتازت قرطاجة بجودة موقعها الاستراتيجي حيث بنيت على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة وبحيرتي تونس وأريانة من الجهتين الآخرين . أما من الخلف فأنها محمية بمرتفع بيرصة (Byrsa) الذي بني في قمته معبد الإله أشمون (Eshmoun) (5) . ولا تتصل قرطاجة باليابسة إلا عن طريق بربخ ضيق يبلغ طوله حوالي

أربعة كيلومترات ونصف . وقد وصف المؤرخ أبيان (Appian) مدينة قرطاجة بأنها تشبه السفينة الراسية (6). (أنظر الشكل رقم 7 ، ص 108)

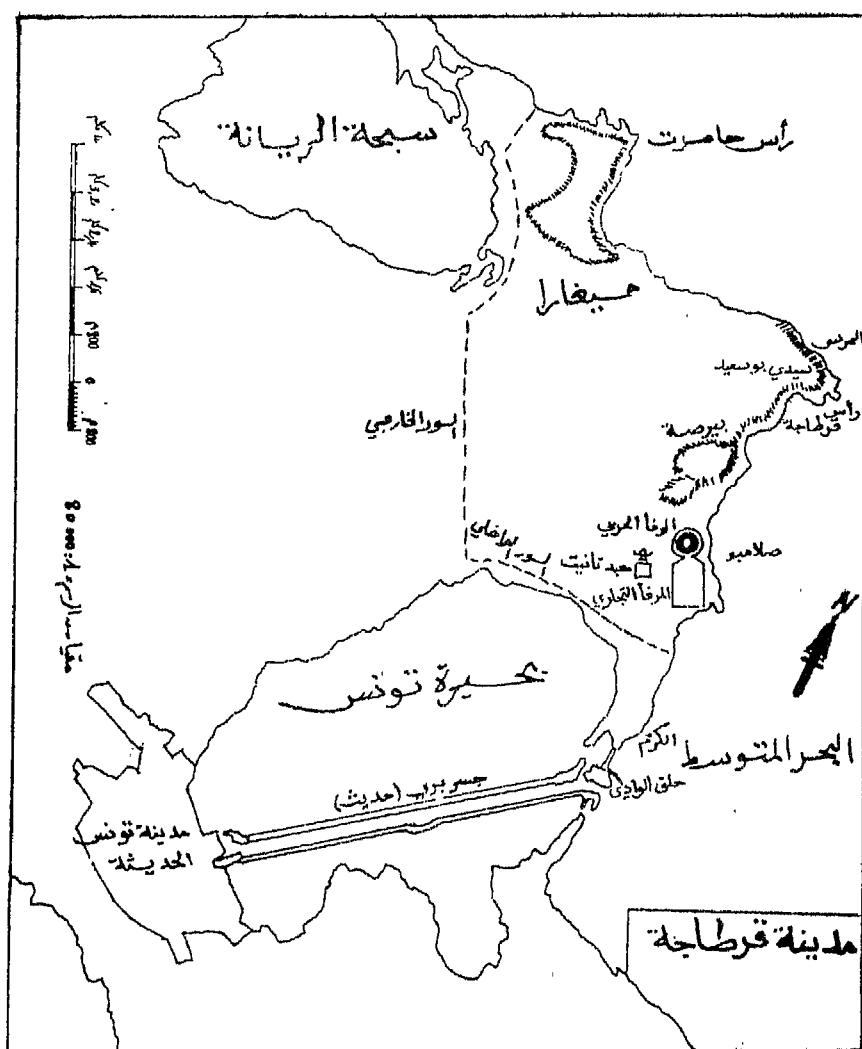
أما المؤرخ بوليبيوس (Polybius) الذي شاهد تهدم قرطاجة في القرن الثاني ق. م. فقد ذكر بأن قرطاجة تند على شاطئ خليج وسط شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة ، وبالبحيرة من الجهة الأخرى (بحيرة تونس) . ولا يزيد عرض البرزخ الذي يربطها بليبيا عن 25 ستادا (Stades) وعلى مسافة غير بعيدة من قرطاجة عبر الشاطئ ، كانت تقع أوتيكا ، بينما تقع تونس على الجانب الآخر من البحيرة (7).

2 – الناحية الطبوغرافية

تؤكد الكتابات الكلاسيكية بالإضافة إلى نتائج الابحاث الاثرية ، أن مدينة قرطاجة كانت مقسمة إلى أحياط سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي ، وهي أحياط صلامبو ، بيرصة ثم مigarai (8).

ويستنتج من بقايا الحفريات التي تواصلت منذ سنة 1944 في صلامبو بأن هذا الحي يعد من أقدم الجهات في مدينة قرطاجة ، وذلك بالأعتماد على بقايا قبور معبد الآلهة تانيت العائد إلى منتصف القرن الثامن ق . م (9).

أما حي بيرصة فقد كان محاطاً بسور قوي يتوسطه معبد الآلة أشمون . وفي الناحية الجنوبيّة من حي بيرصة توجد المقبرة العامة . وكان هناك ثلاثة شوارع تنحدر من نفس الحي لتربطه بالساحة العemonية وبالميناء المزدوج . وعلى أطراف هذه الشوارع ترتفع الأبنية الشاهقة التي وصل ارتفاعها إلى ست طوابق وفق الطراز المعماري الذي كان شائعاً في فنيقيا الام وفي موتيا (Motya) . وقد كانت هذه الأبنية مخصصة لسكنى الطبقة الشعبية التي تتكون من الصناع والتجار والحرفيين . وفي أسفل الحي المذكور توجد



(الشكل رقم ٧)

الساحة العمومية التي هي بمثابة الاكورة (Agora) في المدن الاغريقية والفوروم (Forum) عند الرومان . و حول الساحة العمومية ، كانت توجد المباني الرسمية مثل مبني مجلس الشيوخ ، والحكام ودار اليقافة (11).

ويعد الميناء المردوج بقسمييه التجاري والحربي من الاجزاء الهامة في مدينة قرطاجة . وتشير الكتابات التاريخية الى أن عرض مدخل ميناء قرطاجة كان يقدر بحوالي 23 متراً أو 70 قدماً يقفل بسلسل حديدية (12) . وكان الدخول والخروج من ميناء قرطاجة في فصل الشتاء يصبح صعباً لذلك زود هذا المدخل برصيف يصعد فوقه البحارة ثم يجررون سفنهم بالحبال الى الداخل حتى تصبح في مأمن من تقلبات الطبيعة . أما في الفصول المعتدلة فقد كانت السفن التجارية ترسو في عرض خليج الكرم خارج الميناء

وقد كان ميناء قرطاجة من الداخل مقسماً الى قسمين تربط بينهما قناة يبلغ عرضها حوالي 23 متراً تنتقل فيها السفن من أحد الاجزاء الى الثاني . وعرف المرفأ الخارجي المستطيل الشكل الذي يبلغ طوله حوالي 456 مترآً وعرضه 325 متراً، ثم قدر عرض رصيفه بحوالي 4,53 متراً ، عرف بالمرفأ التجاري . وكان المرفأ الداخلي أو الحربي يسمى بالقاطون (Cothon) (13) . وهو مستدير الشكل بحيط به رصيف بلغ طول محيطيه 1021 متراً وعرضه 9,35 متراً ، بنيت في الناحية الداخلية منه حجرات تكفي مع حجرات رصيف الجزيرة الداخلية لايواه حوالي 220 سفينة . وقد خصصت الجزيرة الداخلية لسكنى امير البحر الذي كان يقوم بمراقبة الحركة على سطح مياه البحر القريبة منه ، ومن وراء رصيف المرفأ البحري يرتفع سور متين تتخلله أعمدة من المرمر تحجب الرؤيا من الخارج لما يجري داخله وهناك مدخل خاص يربط المرفأ الحربي بالساحة العمومية (14) .

وتعتبر الاسوار الدفاعية من أهم المنشآت في مدينة قرطاجة ، فهي

تحيط بالمدينة وتتقاطع عند البرزخ الضيق المشار إليه ، لترك فتحة للدخول أو الخروج من المدينة (15) وقد بلغ سمك السور الأول المولى للمدينة تسعه أمتار ، وارتفاعه 13 متراً . بينما يقدر محيطه بحوالي 34 كيلومتراً تخلله أبراج للمراقبة على بعد كل 60 متراً (16) .

ويشير المؤرخ أبيان (Appian) بأن ارتفاع كل سور من الأسوار الثلاثة يبلغ 13،32 م دون أن فدخل في الحساب علو الشرفات وال أبراج . وبقدر عرض كل سجادة بحوالي 8،88 مترأ . ويوجد في الجهة الداخلية من كل سور فراغ بني بشكل طابقين ، خصص أولها لايواء 300 فيل بزادها و معاشها .

أما الطابق الثاني الذي يوصل إليه عن طريق مر يصعد من الاول ، فقد وجد به اصطبل كان يتسع لحوالي 4000 حصان بما في ذلك مخازن للعلف والشعير بالإضافة إلى ثكنات عسكرية تأوي حوالي 20 ألفاً من المشاة و 4000 من الفرسان (17) . وأمام السور المذكور كان يوجد خندق كبير يبلغ عرضه حوالي 20 متراً ثبتت على أطرافه الخارجية أعمدة خشبية كانت تشكل سياجاً قوياً . وتشير نتائج الابحاث الاثرية التي قام بها عدّة علماء اثريين في مدينة قرطاجة وضواحيها ، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، بأن سور مدينة قرطاجة كان يحيط بالمدينة من جهة اليابسة وقد هدمه الجيش الروماني اثر تهديم مدينة قرطاجة سنة 146 ق . م ونقلت حجارته الكبيرة فاستعملت في بناء مدينة قرطاجة الرومانية فيما بعد . ولم يبق أي أثر يذكر لهذا السور فيما عدا الخندق الذي كان خارجه ، والذي اكتشف جزء منه الجنرال دوفال (R. Duval) في الحفريات التي قام بها سنة 1949 . وورد في تقرير نتائج حفريات الجنرال دوفال بأن الجهة الشرقية من الخندق ، كانت محاطة بشريط من الصخور المنحوتة تحتوي على حفر دائيرية ما زال بعضها يحتوي بقايا جرار فخارية تتخد كقواعد لثبت بها الأعمدة الخشبية التي تحيط بالخندق (18) ويعتقد بأن الأعمدة المذكورة تشكل الحصن الخارجي من

السور ، ويستطيع الناظر من الطائرة أن يشاهد بوضوح آثار الخندق بارزة
لمسافة قصيرة حول موقع قرطاجة القديمة.

و كانت منازل حي ميغارا (Megara) الذي يسكنه أثرياء مدينة '
قرطاجة تدل على معانٍ الترف والغنى حيث كانت محاطة بالحدائق
والبساتين . و تذكر الكتابات التاريخية بأن حي ميغارا كان خارج سور
قرطاجة ، بينما المصادر المادية تشير من جهتها إلى أن هذا الحي كان هو
الآخر داخل نطاق السور المذكور (19) .

ومعها كانت طبيعة سور قرطاجة وتاريخ بنائه ، فقد كان يشكل بحق
منشأة دفاعية هامة تحظى على جدرانها كل محاولات الغزاة من القادة
الاغريق والرومان الذين نقلوا الحرب إلى بلاد المغرب بغية الاستيلاء على
مدينة قرطاجة قبل القرن الثاني قبل الميلاد (20) .

ب—النشاط الاقتصادي

التجارة : كانت قرطاجة منذ نشأتها الأولى ، تمثل مستوطنة فنيقية
هامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، حيث كانت مع جارتها
أوتيكا ، والمستوطنات الفنية المقابلة لها في الطرف الجنوبي الغربي من
صقلية مفاتيح الاتصال بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه.

لقد أهل قرطاجة موقعها الاستراتيجي لأن تلعب دوراً هاماً في
الميدانين الاقتصادي والسياسي ، فانتهزت فرصة احتطاط فنيقيا الاممخلال
بداية القرن السابع ق . م عندما توالت على هذه الأخيرة هجمات الاشوريين
من الداخل ، وحصر التجار الاغريق الذين استعادوا قوتهم البحريه منذ
حوالي منتصف القرن الثامن ق . م (21) . فانتهزت قرطاجة هذه الفرصة
وتزعمت السيادة البحريه والسياسية في غربى البحر الأبيض المتوسط .
وبذلك أصبحت أمبراطوريتها تمتد من خليج السرت في ليبيا شرقاً و تتجاوز

أعمدة هرقل غرباً ، كما ضمت إليها سواحل كل من إسبانيا والباليار وسردينيا ، كذلك جنوب غربي صقلية (22) .

ولم يكن القرطاجيون في أول الأمر يهتمون بالصناعة والزراعة بقدر ما كانوا يعانون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة . ويتمثل دورهم التجاري في اتصال خامات معادن الفضة والقصدير والرصاص إلى الدول المصنعة في شرق المتوسط، ثم نقل للبضائع المصنعة من الدول المذكورة وتوزيعها على محتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعياً الذين كان القرطاجيون يتعاملون معهم عن طريق المقاييسة (23) . وقد كان القرطاجيون يحصلون على المواد الخام التي أشرنا إليها من مواطنها الأصلية في كل من : مقاطعة كرنويل في جنوب إنجلترا ، وجزر كاسيتيريس التي كانت تحتوي على معادن القصدير . وإسبانيا التي وجدت بها مناجم الفضة والرصاص والنحاس . ثم من غرب أفريقيا . الاستوائية وبلاط السودان اللتين كان يجلب منها تبر الذهب والعاج والحجارة الكريمة (24) .

ولضمان سير الحركة التجارية القرطاجية وتوسيعها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تحالف القرطاجيون مع الاتروسكيين . ثم فرضوا سيادتهم على التجار الأغريق والروماني (25) . ولتأمين الاحتكار التجاري ارتبطت قرطاجة مع روما بمعاهدين كانت أولاهما سنة 509 ق . م — والثانية سنة 348 ق . م وقد نص في هاتين المعاهدين على حق قرطاجة في احتكار تجارة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط . وألزمت الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئه قبل أخذ إذن من القرطاجيين (26) . وقد بقي الأمر على ذلك حتى النصف الثاني من القرن الثالث ق . م عندما فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية وإسبانيا . ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البونية الثانية فاقتصرت على شمال تونس .

الصناعة : اشتغل الفنيون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة ، غير أنها كانت في أول الأمر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن واصلاحها ثم استخراج صباغة الاجوان من محار الميوريس الذي يصطادونه من شواطئ بلاد المغرب ، بالإضافة إلى صناعة الفخار التي كانت تتفصّلها الحودة والاتنان . ولم تزدهر الصناعة القرطاجية إلا اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد عندما اصطدمت قرطاجة باتحاد المدن الافريقية في معركة هيمرا سنة 480 ق . م .

اندفع لقرطاجة بعد هذا الاصطدام أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مقبل ما لم تكن تملك صناعة قوية (27) . ومن جهة أخرى فإنه بحكم استيطان الافريقي في كل من شرق حسقية، وقرينة بليبيا، كانوا قد وقفوا حاجزاً دون اتصال القرطاجيين بشرق المتوسط فاضطرب القرطاجيون أمام هذه الضرورة الملحة ، إلى تصنيع المواد الخام المعدنية التي كانوا يجلبونها من المناطق المجاورة لهم ، كما عمدوا في نفس الفترة ، إلى تشجيع الزراعة ، وهذا مما يطلق عليه بمرحلة التحول في حياة سكان مدينة قرطاجة وأتجاههم وجهة افريقيّة . وقد برز القرطاجيون في صناعة المعادن والنسيج، والثياب الارجوانية ، وصناعة الاختشاب والنقوش على الحجارة الكريمة . وأهم صناعة وجدت بقائها بكثرة في قبور القرطاجيين ، الفخار الذي كان يشكل مادة هامة في الصناعة القرطاجية رغم خلوه من الخصائص الفنية والاتنان . وتشير نتائج الابحاث الاثرية إلى أنه كان القرطاجيون معاملن للخزف بالقرب من مدافن درمش (Dermech) بقرطاجة . ويعتقد بأن فخار هذه المعامل كان قد خُصص لتجهيز القبور (28) . واستعمل القرطاجيون الفخار أيضاً في استعمالاتهم المنزلية فصنعوا منه المصابيح والمأثيل الصغيرة ، ثم الأقنعة والقدور ، والإجاجين (Urnes) . وكانت هذه الأخيرة تستعمل لحفظ عظام الموتى الذين كانوا يقدمون قرباناً للاللهة . وقد وجد نموذج من الإجاجين التي تحوي عظام الأطفال الصغار المضحي بهم في معبد الالهة تانيت (Tanit) بسلامبو (Salambo)

يعود تاريخها الى منتصف القرن الثامن ق . م (29) .

هذا وقد ظهرت قدرة قرطاجنة الصناعية أثناء الحرب البونية الثالثة (149 - 146 ق . م . عندما فشل مجلس الشيوخ القرطاجي في اقناع القنصل الذي كان يقود الجيش الروماني للعدول عن رأيه في تدمير قرطاجة التي استجابت لطلب الرومان بتقديم كل أسلحتها لتبرهن لهم بذلك عن حسن نيتها ورغبتها في السلم ، فقد تحولت المدينة بأكملها الى ورش صناعية تتبع كل يوم حوالي 100 ترس ، و 300 سيف ، ثم 500 رمح بالإضافة إلى 1000 سهم تُقذف بواسطة المجنح (Catapulte) . وعدد من الالات الحربية الأخرى (30) .

الزراعة : لم يعتمد القرطاجيون على التجارة والصناعة وحدهما ، بل كان للقطاع الزراعي ايضاً مكانته الخاصة . وقد تطورت الزراعة مثل الصناعة تدريجياً حيث كانت في أول الامر تحصر في منطقة شبه جزيرة رأس بونة ، ثم تطورت بعد ذلك فشملت منطقة شمال تونس . وتشير الكتابات التاريخية الى أنّه في اواخر القرن الرابع ق . م عندما غزا أجاموكليس (Agathocles) بلاد المغرب ، ونزل بجنوده في طرف شبه جزيرة رأس بونة وجد في المنطقة الريفية المحيطة بقرطاجة بساتين جميلة ومروجاً خضراء مليئة بالقطukan والابقار والخيل . الع (31) . وبعد ذلك بحوالي نصف قرن وجد الجنود الرومان الذين كان يقودهم ريفولوس (Regulus) المنطقة مزدهرة أكثر من ذي قبل فشرعوا يغرسون المزارع والبساتين ليث الهلع في نفوس السكان وشن الاقتصاد القرطاجي (32) .

قد كانت ملكية المزارع الواسعة من حق الاغنياء الاستقراطيين . الذين كانوا يوجهون السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة قرطاجة ، ومن أهم المزروعات الشائعة في عهد القرطاجيين أشجار الزيتون والكرم ثم التين والرمان ، وأنواع أخرى من الفواكه والخضروات ، بالإضافة الى القمح والشعير (33) . وكان القرطاجيون قد برعوا في ميدان الزراعة

فظهر من بينهم العلماء المختصون الذين أغنوا مكتبات العالم القديم . ومن بين هؤلاء نذكر العالم ماغون (Magon) الذي عاش في حوالي القرن الثالث ق . م وألف دائرة معارف تتكون من 28 كتاباً علمياً ضمنها خبرته في فن الزراعة ، وقد قدم نصائحه لمن يشتغل بالزراعة خاصة فيما يتعلق بغرس الاشجار ونظام سقيها ، ثم الاماكن الصالحة لزراعة كل نوع منها . كما شرح ماغون الطرق الكفيلة بتربية الحيوانات وصناعة السعور . (34)

ولم يكتفى ماغون بتقديم النصائح العلمية في ميدان الزراعة بل ذهب إلى أكثر من ذلك فعارض امتلاك المواطنين للأراضي الزراعية واهالهم العناية بها ، وطلب من يزاول مهنة الزراعة أن يتفرغ لها . وقد ورد في أحدي كتاباته يتبعي على من يشتري أرضاً زراعية أن يبيع بيته في المدينة ، حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التي تدفعه إلى عبادة (آلهة) منزله في المدينة بدلاً من عبادة (آلهة) الريف ، والمرء الذي يجد متعة أكبر في مقره في المدينة ليس بحاجة لامتلاك أرض في الريف (35) .

وخلال هذه القول ، يمكن أن نستنتج مما تقدم حول موضوع النشاط الاقتصادي القرطاجي ، بأنه كان اقتصاداً مرتباً إلى حد كبير اعتمد على ثلاثة موارد رئيسية هي : التجارة والصناعة والزراعة . غير أنه من جهة أخرى فإن هذا الازدهار الاقتصادي كان من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت الرومان - خلال فترة توسيعهم - ينقمون على القرطاجيين . وبالتالي يقدمون على تهديم مدينة قرطاجنة سنة 146 ق. م ثم يحررون المحراث في أرضها وتصبح أرضاً ملعونة (لا تصلح لشيء) .

وقد قبل بأنه بعد انتهاء عملية التهديم ، وقف القائد سيبيون أمليانوس (Scipion Emilian) الذي قاد عملية التهديم يتأمل مجده قرطاجنة الغابر ، ثم قال قوله المشهورة مستشهاداً بـ شعر هوميروس طروادة سوف تلقى بدورها يوم نحس (36) . و كان يقصد بذلك مدينة روما .

خاتمة

تلقت منطقة الساحل الكنعاني منذ منتصف الالف الثاني ق . م آثار
الصراع البأشب بين جيرانها الأقوياء : المصريون في وادي النيل ،
والحيثيون في آسيا الصغرى . كان هم هؤلاء الحبران ، الحصول على خيرات
سوريا الداخلية : كالانهشاب والزيتون والحبور الخ ... من ذلك أن
المنطقة الجنوبية الداخلية من سوريا كانت تعرف عند المصريين «بلاد
العسل واللبن ». »

وقد ترتب على هذا الصراع تقسيم الساحل السوري سياسياً خالل
القرن الثالث غشر ق . م إلى منطقتين نفوذاً هامتين هما : القسم الشمالي الذي
كانت مدنـه تحت تأثير الفوضى الحبي ، ثم القسم الجنوبي الذي كان تابعاً
اسمياً لمصر . غير أن هذه الفترة لم تدم طويلاً فقد انتهت بمجيء غزوة
شعوب البحر المدمرة التي وضعت حدأً لنفوذـين المصري والحيثي في المنطقة
فأدى ذلك إلى نشوء فراغ سياسي في منطقة الساحل السوري .

وهذا بدوره ترك المجال فسيحاً لملكـ المدن الفنـيقـية التي استعادـت
قوتها وازدهارـها بسرعة . فائقة . واستطاعتـ مدينة صور بحكم موقعـها
الهام - على جزـيرة بالقربـ من السـاحـلـ أن تـترـعـمـ مـدنـ السـاحـلـ الفـنـيقـيـ ،
ثم تـلـعبـ دورـاً كـبـيراًـ فيـ اـعادـةـ بنـاءـ الاـسـطـولـ الفـنـيقـيـ الـذـيـ . أـصـبـحـ الـبـحـرـ
الـاـيـضـ الـمـتوـسـطـ مـفـتوـحـاًـ أـمـامـهـ . خـاصـةـ بـعـدـ الرـكـوـدـ الـذـيـ أـصـابـ الـبـحـرـيةـ

الايجهية من جراء غزو شعوب البحر التي اجتاحت أيضاً بلاد اليونان وجزر البحر الائجي فاندفع التجار والملاحون الفينيقيون تحت زعامة صور . يجوبون البحر الائبي المتوسط بمحضيه الشرقي والغربي بحثاً عن الاسواق التجارية والسلع الرئيسية ، وقد لفت انتباهم توفر خامات الفضة والنحاس والرصاص في شبه جزيرة ايبيريا ، وأقصى الغرب ببلاد المغرب ، لذلك نراهم يؤسسون محطات تجارية باكرة ، مثل قادس ، وليسوس وأوتيكا لتكون نقطة اتصال بينهم وبين السكان المحليين . وقد آلت هذه المحطات فيما بعد الى مستوطنات تجارية متقدمة على المحيط الاطلسي .

وقد تبين لنا من خلال البحث ، أن تأسيس المستوطنات الفينيقية في غرب البحر الائبي المتوسط ، لا يقتصر على مدينة دون أخرى من مدن الساحل الفينيقي التي استعادت ازدهارها غير أن ذلك لا يمنع أن تكون عملية الاستيطان هذه قد تمت تحت سيادة صور التي آلت اليها زعامة المدن الفينيقية في شرق البحر الائبي المتوسط ، منذ القرن الثاني عشر ق . م . كما أن تأسيس مستوطني قادس وليسوس على المحيط الاطلسي لم يكن لأغراض اقتصادية فحسب بل كان الهدف منه أيضاً مواصلة الكشف ، وقد اتضح ذلك فيما بعد عندما انطلق الفينيقيون عن طريق البحر من قادس شمالاً الى جزر كاسيتريدس والى كورنويل ، واتجهوا أيضاً الى الجنوب من ليسوس حتى بلغوا سواحل الكمرتون في غرب افريقيا الاستوائية ، وبذلك أضافوا محطات أخرى تجارية في هذه المنطقة الاخيرة يمكن أن يطلق عليها اسم (محطات حنون) نذكر منها على سبيل المثال : ثامياتريون (Thymiatirion) ، وسولوثيس (Soleis) وقرنة (Cerne) . ولا بد أن نذكر هنا ، بأن اكتشاف المحيط الاطلسي وارتياده لأول مرة يرجع الفضل فيه الى البحارة الفينيقيين ، الذين جاءوا بهسنهم قبل غيرهم حسبما تشير الى ذلك الوثائق الكتابية ، وهنا يمكن أن نتساءل عن الطريق الذي سلكه الفينيقيون للوصول الى الحوض الغربي للبحر الائبي المتوسط ، والخروج الى المحيط الاطلسي . وللاجابة عن

هذا السؤال، يمكن أن نعود إلى ما ذكرناه خلال البحث في الفصل الخاص بالتوسيع الفنيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط .

كما أن سبق قادس وليكوسوس في التأسيس على كل من أونيكا وقرطاجة ، تم بقية شطاط بلاط المغرب الأخرى الواقعة على الطريق الساحلي الرابطة بين فنيقا الام والمحيط الأطلسي يجعلنا نرجح بأن عملية استيطان الفينيقيين في بلاد المغرب كانت قد بدأت من الغرب إلى الشرق.

ومن جهة أخرى فإنه بالاستناد إلى الكتابات التاريخية التي تعيد استقرار الفينيقيين في قبرص إلى حوالي منتصف الألف الثاني أو بعده بقليل ، وكذلك سبق حوالهم بروتس وببلاد اليونان عن استيطانهم في غرب البحر الأبيض المتوسط . بالإضافة إلى توزعهم في كامل صقلية قبل وصول الأغريق إليها ، في منتصف القرن الثامن ق. م. مثلما أشار إلى ذلك توكيديديس كل هذا يجعلنا نعتقد بأن الفينيقيين كانوا قد سلكوا طريق شمال المخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط عند قدومهم لأول مرة باتجاه شبه جزيرة ايريا التي كانت هدفاً في حد ذاتها ، نظراً لتوفر خامات المعادن بها ، غير أنهم عند الرجوع سلكوا ساحل بلاد المغرب ، وبذلك كان الاستيطان في هذه المنطقة الأخيرة وفقاً للترتيب الكرونولوجي ابتداء من الغرب إلى الشرق .

وقد كانت بعض المدن الفينيقية سواء في الساحل السوري أو المخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تتبع مبدأ ازدواجية الميناء . ولا نستطيع أن نعرف الهدف الحقيقي الذي سعى إليه الفينيقيون من وراء هذا التنظيم . غير أن الذي يمكن أن نلاحظه هو أن هذه المدن التي كانت تتمتع بنظام ازدواجية الميناء ، كانت لها صبغة استراتيجية هامة بالإضافة إلى النازية الاقتصادية . (أنظر الفصل الرابع) .

وبالآن نختم لهذا البحث لا بد أن نشير إشارة عابرة إلى علاقة سكان

المغرب القديم بالوافدين الجدد من الفنقيين . وفي هذا الصدد نلاحظ بأن العلاقة بين الحانين كانت حتى القرن الرابع ق. م. مبنية على التعاون السلمي والاتصال الحضاري والاقتصادي . أما بعد هذه الفترة المشار إليها فقد بدأت العلاقة السياسية بين القرطاجيين والسكان المحليين توسيع شيئاً فشيئاً ، وذلك لعدة أسباب اقتصادية وسياسية أمنتها على قرطاجة روح السياسة الأفريقية التي اتبعتها بعد هزيمتها أمام تحالف المدن الإغريقية في معركة هيمرا بصفاقس سنة 480 ق. م.

ولم تنجح محاولات المغاربة الأولى للوقوف في وجه القرطاجيين ذلك لأن المغاربة كانوا حتى القرن الثالث ق. م. لا زالوا يعيشون على النظام القبلي . كما أنهم كانوا يفتقدون آنذاك إلى الوحدة السياسية ، ولا يتقيدون بنظام سياسي ضمن المدينة الواحدة ولم يتتوفر لهم ذلك إلا عندما استبدلوا النظام القبلي بالنظام الأقلبي تحت زعامة الأقليد (الملك).

من هذا الاستعراض . القصیر . للعلاقات الفنيقية المغربية ندرك بأن الموضوع لازال يحتاج إلى دراسة علمية . موضوعية تعطي لسكان المنطقة الأوائل ملهم ، وما عليهم . وقد لاحظنا من خلال دراستنا لموضوع التوسيع الفنيري في عربي المتوسط بأن الحقيقة الفنيقية في بلاد المغرب ، وخاصة منطقة نوميديا لازالت لم تحظ بعد بالعناية الكاملة . لابراز معاناتها التاريخية . وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والتنقيب عن المصادر المادية التي هي أساس كل دراسة علمية تخص هذا الميدان .

الهـوـامـش مرتبـة حسب الفـصـول

الفصل الأول :

- G. Contenau, la civilisation Phenicienne, Payot, Paris, (1) 1949, pp. 21 - 23.
- Op. Cit. p. 21. (2)
- 3) فـلـيـبـخـتـ، تـارـيـخـ سـورـيـاـ وـلـبـنـانـ وـفـلـسـطـيـنـ ، جـ 1ـ ، بـيـرـوـتـ ، صـنـ ، 1958ـ ، 64ـ ـ 65ـ .
- 4) مـحـمـدـ السـيـدـ غـلـابـ ، السـاحـلـ الـفـنـيـقـيـ وـظـهـيرـةـ ، دـارـ الـعـلـمـ الـلـمـلـاـيـنـ بـيـرـوـتـ ، 1959ـ ، صـنـ ، 46ـ .
- 5) عـرـفـ هـذـاـ الـجـيلـ سـابـقـاـ بـاسـمـ سـافـونـ (ـبـالـكـنـعـانـيـةـ)ـ ، وـكـاسـيوـسـ (ـبـالـلـلـاتـيـنـيـةـ)ـ ، وـالـاقـرـعـ (ـبـالـعـرـبـيـةـ)ـ نـظـرـأـ خـلـوـ قـمـتـهـ مـنـ الـاشـجـارـ .
- 6) مـحـمـدـ مـحـمـودـ الصـيـادـ ، جـغـرـافـيـةـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ ، الـجـزـءـ الثـانـيـ ، معـهـدـ الـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ الـعـرـبـيـةـ 1968ـ ، صـ ، 357ـ .
- 7) مـحـمـدـ السـيـدـ غـلـابـ ، السـاحـلـ الـفـنـيـقـيـ وـظـهـيرـةـ صـ ، 124ـ ـ 125ـ .
- 8) جـيـزـرـةـ ، وـيـلـرـ (ـالـاـيـنـ)ـ وـجـمـاعـةـ ، جـغـرـافـيـةـ الـعـالـمـ الـاـقـلـيمـيـةـ ، الـجـزـءـ الثـانـيـ ، تـرـجـمـةـ مـحـمـدـ حـامـدـ الطـائـيـ ، بـيـرـوـتـ ، 1965ـ ، صـ 34ـ .
- 9) مـحـمـدـ صـبـحـيـ عـبـدـ الـحـكـيمـ ، وـجـمـاعـةـ مـنـ الـاسـاتـذـةـ ، الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ (ـأـرـضـهـ وـسـكـانـهـ وـمـوـارـدـهـ)ـ الـطـبـعـةـ الـاـوـلـىـ ، مـكـتـبـةـ الـاـنـجـلـوـ الـمـصـرـيـةـ .

القاهرة ، 1968 ، ص ، 99 .

10) فيليب ستي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ، 76 - 69 .

11) المرجع السابق ، ص 76 - 69 .

12) هناك سببان رئيسيان يكمنان وراء هجرة الساميين من شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب :

- أما أن يكون هؤلاء الأقوام قد هاجروا إلى الشام تحت وطأة العوز والفقر نتيجة تغيير المناخ في شبه الجزيرة العربية وبذلك يكونوا قد اتبعوا معاذة الانهار الدائمة الجريان نحو الشام في شكل قبائل رحل .

- أو انهم خرجوا في شكل تجار لبيع منتجات أنعامهم التي كانوا يربونها ، وقد أشير إلى ذلك في القرآن الكريم (رحلة الشفاء والصيف) .

Herodotus, I, 1. (13)

Strabon, I, II - 35; XVI, IV, - 27. (14)

15) كتاب التوارث التكوين ، 10 : 1 - 6 - .

Justin, Tраге Pompee, Tome II, Livre XVIII, III. (16)

17) محمد السيد غلاب ، الساحل الفنيقي وظاهراته ، ص 214 .

18) المرجع السابق ، ص 207 .

19) عبد العزيز عثمان ، معالم تاريخ الشرق الآدنى القديم ، ج 1 ، دار الفكر الحديث بيروت 1967 ، ص 208 .

20) المرجع السابق ، ص 309 : احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1972 ، ص 82 .

21) عبد العزيز زايد ، الشرق الحالى ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1966 ، ص 237 .

D. Hardon, the Thonicians, p. (22) تشير بعض الكتابات التاريخية إلى أن كلمة فيونيكس *Phoenix-Phoenix* تعني الدم الاحمر . وقد اطلقـت لاـول مـرـة عـلـى التجـار الفـنـيقـيـن لـ وجـوهـهـمـ الـبرـونـزـيـةـ مـنـ تـأـثيرـ لـفـحـ الشـمـسـ .

كما تذكر هذه الكتابات أيضاً إلى أن هذا الاسم يشير إلى حمرة البلح الذي كان من جملة بضائع الفينيقيين التي تاجروا بها مع بلاد اليونان .

(23) كتاب التوراة ، سفر التكوين ، 10 : 19 - 20 .

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 288. (24)

(25) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 88 .

D. Harden, The Phoenicians, Thames & Hudson London, 1963, p. 25.

(27) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 90 - اشتهر سكان جزيرة ارواد ببراعتهم في الحصول على مياه الشرب في الاوقات الصعبة ، وقد اتبعوا في ذلك طريقتين : أولاهما تخزين مياه الامطار التي تنزل من سطوح المنازل في صهاريج . والطريقة الثانية كانت تتخلص في استخراج الينابيع التي كانت غائرة تحت مياه البحر وذلك بواسطة استعمال قمع كبير من الفخار مقلوب بفصل استخراج الماء العذب فوق سطح مياه البحر المالحة .

Strabon, XVI, 2 - 13. (28)

J. H. Breasted, Ancient Records, Vols, 3, 1906, p. 362. (29)

(30) مدينة عمريت أو ماراتوس : ليست لدينا معلومات كثيرة حول هذه المدينة فيها عدا ما ذكره شاهد عمريت الذي يُؤخذ كدليل على مدى تقدم فن النحت لدى سكان الساحل الفينيقي .

(31) لا تشير المصادر القديمة إلى الاسم الفينيقي للمدينة ، أما اسمها الأغريقي فهو ترابوليسي斯 (Trapolis) وهو يعني المدينة ذات الثلاث مدن .

(32) تعرف حالياً بالبترون ، وقد سماها اليونان (Botrys)

(33) جبيل هو اسم المدينة الحديث . أما جبلة (Gubla) فهي تسمية فنيقية . وقد سماها المصريون (Kepen) تحريف لاسم جبلة ، وقد عرفت عند اليونان باسم بيلوس (Byblos)

- Pierre Montet, *Byblos et L'Egypte*, Tome XI, Librairie Orientaliste, Paris, 1928, p. 7. (34)
- G. Contenau, *la civilisation Phenicienne*, p. 18. (35)
- (36) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الخبرية للطباعة ، بغداد 1972 ص ، 31 - 32 .
- The Cambridge Ancient History, Volume II, Cambridge University Press, London, 1926, p. 306. (37)
- Justin, *Throgue Pompee*, Tome II Livre XVIII, III; (38)
- (39) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، الطبعة الاولى ، دمشق 1969 ص 132 .
- (40) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 ، ص 122 .
- Strabon, XV, 2, 23. (41)
- G. Contenau *la civilisation Phenicienne*, p. 120. (42)
- Herodotus, I, 42 - 45. (43)
- (44) رشيد الناصوري . المغرب الكبير . ج 1 ، الدار القومية للطباعة القاهرة 1966 ص 161 - 162 ..
- B. H. Warmington, *Carthage*, p. 74. (45)
- (46) كتاب التوراة ، الملوك الاول ، ٥ : ١ - ١٩ .
- (47) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 153 .
- (48) حاطوم ، عاقل ، طربين ، مدنی ، موجز تاريخ الحضارة ، ج 1 ، دمشق 1965 ، ص 241 .
- Pierre Reusel *peuples et civilisation*, Tome II, Felix Alcon, Paris 1928. pp. 332-334. (49)
- The Cambridge Ancient History, Volume II, pp. 302-317. (50)
- Raymons Weill, *la Phénicie et l'Asie occidentale*, Armand Colin, Paris, 1939 p. 192. (51)
- (52) أحمد فخری ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو

المصرية القاهرة 1968 ، ص 110 .

(53) يُورخ لظهور الكتابتين المسارية والهير وغليفية بحوالي نهاية الالف الرابع ق . م وهناك من المؤرخين من يحاول اثبات سبق الكتابة الهير وغليفية للكتابة المسارية ثم العكس ، ولمزيد من الايضاح ، انظر : هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة ميخائيل خوري بيروت 1959 ، ص 127 - 144 .

S. Moscati, histoire et civilisation des peuples semitiques, Payot, Paris, 1955, p. 121. (54)

(55) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 120 - 121 .
Encyclopedie Britannica, Volume, 17 G.S.S. 1968, (56)
p. 894.

(57) جون أ - هامرتون ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 384 - 386 .

(58) موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص 272 ، ملاحظة 6 - وقف علماء تحليل اللغات في أول الامر عاجزين أمام عدد كبير من اللوحات الاوغاريتية ، وظفوا أن كتابتها غير معروفة ، ولكنهم سرعان ما توصلوا إلى حل الاشكال عندما قارنوها كتابة الالواح التي عثروا عليها بالكتابية الكنعانية ، وكانت أغلب مواضع اللوحات تدور حول الاساطير الدينية والاجتماعية في مدينة أوغاريت القديمة ،

Charles - Virellaund, le palais royal d'ugarit, Paris (59)
1965, p. 137; Claude F. A. Schaeffer, mission de Ras Shamra, Tomè III, Paris 1939.

(60) جورج كوتونو الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، شركة مركز كتب الشرق الاوسط ، القاهرة 1948 ، ص 336 .

(61) جون أ - هامرتون تاريخ العالم المجلد الثاني ، 385 - 387 .
G. Contenau, la civilisation Phenicienne, pp. 254 - 255. (62)

. احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 40 ، شكل رقم 13 .

G. Contenau, la civilisation Phenicienne, p. 259. (63)

Ronald Harden, *the Phoenicians*, pp. 116-123. (64)

٦٥) جون أ - هامرتن ، المجلد الثاني ، ص 383 .

٦٦) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ١٢٢ .

٦٧) فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .

٦٨) فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

D. Harden, *the Phoenicians*, p. 83. (69)

B. H. Warmington, *Carthage*, p. 74. (70)

الفصل الثاني

١) رشيد الناصوري ، المغرب الكبير ، ج ١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٩ .

٢) أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٠٠ .

P. Montet, *Byblos et l'Egypte*, Tome XI, pp. 29-59. (3)

The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 538. (4)

٥) يستفاد من الرسوم الملونة التي عثر عليها مزينة بحدران مقابر نبى حسن ، بأن العلاقة كانت وثيقة بين المصريين والساميين ، وتمثل في الصورة جماعة هؤلاء المهاجرين ذوي اللحى الطويلة بنسائهم واطفالهم . وكان رئيسهم يتقدمهم طالبا السباح له ولقومه بالإقامة في مصر مقابل تقديم الهدايا . وعلى ذلك فان مصر في القديم كانت لا تقف في وجه الهجرات الفردية او الصغيرة بل كانت فقط تقف في وجه الهجمات العسكرية .

٦) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج ١ . ص ٣٨ .

٧) جون ولسون . الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري . مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥١ ، ص ٣٤٨ - انصرف اخناتون

انصرافاً تاماً عن شؤون الامبراطورية . وكرس جهوده الى عبادة الآلهة أتون (قرص الشمس) الذي بني له معبداً في الهواء الطلق في تل العمارنة . ونقل العاصمة من طيبة في الجنوب الى مديتها الجديدة ، ثم نقل معه ككل وثائق المراسلات التي عبر عليها فيما بعد السير فلندرز بييري سنة 1891 . وقد ترتب عن ثورة اختنانوں الدينية أن شب نزع سياسي داخلي ، ترتب عنه خطف السياسة الداعية الخارجية لمصر .

8) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 . ص 504 - 507 . تشير الوثائق المصرية الى انتصار رمسيس الثاني بفضل اعانة الآلهة أمون له على أعدائه . وقد غرق عدد من عظام الحشين في النهر أو أنهم سقطوا تحت سابلخ خيل رمسيس ، ووجد من بين الأعداء شقيق ملك الحشين جاثياً على ركبته . أما الوثائق الحشية التي وجدت في بوغاز كوي عاصمة الحشين . فتذكر بأن رمسيس الثاني هزم في معركة قادش ، وتراجع بعد ذلك التفوذ المصري في سوريا حتى بلدة (أبا - ABA) القريبة من دمشق . وقد ضممت معظم بلاد الاموريين الى الحشين بعد معركة قادش .

9) The Cambridge Ancient History, Volume 3, p. 138.

10) D. Harden, the Phoenicians, p. 50.

11) رشيد الناصوري ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 158 .

12) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 8 ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة 1966 ، ص 119 -

13) The Encyclopedia Americana, Volume 21. p. 736.

14) P. Cintas, Manuel d'Archologie unique, Tome I, p. 56.

15) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، ص 120 - هناك من يفسر علاقة أحيرام ملك صور بذاود وسلیمان ملكي العبرانيين في الآلف الاول ق . م بأنها كانت ناتجة ، على أن حيرام عندما رأى القوة الحربية للعبرانيين وتوسعهم على حساب الارameans والموابيين

والادوميين في الداخل حتى من توسعهم على حساب صور التي كانت
بiederها زعامة الفينيقيين ، فتقرب من داود وعقد معه صداقة بقصد اشغاله
عن التفكير في التوسيع على حساب ممالك المدن الفينيقية

. 16) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، ص 102 .

B. H. Warmington, Carthage, p. 13. (17)

. 18) فيليب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ص 64 .

19) جون ولسون ، الحضارة المصرية ترجمة أحمد فخري ، ص ،
154 .

20) أحمد فخري ، دراسات في التاريخ الشرق القديم ، مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة الثانية القاهرة 1963 ، ص 62 .

. 21) فيليب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1؛ ص 110 ..

P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puni., p. 249. (22)

23) لمزيد من الإيضاح حول قادس ومعادنها الشمية ، انظر الفصل
الثالث الخاص بالتوسيع الفينيقي في غرب المتوسط ، ص 63—64 .

Strabon, II, 0, (24)

Encyclopedia, Britannica, Volume 17, 1968, p. 827. (25)

The Cambridge Ancient History, Volume IV, p. 347. (26)

27) أندريله أيمار ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف أسعد
داغر ، منشورات عويدات ، بيروت 1964 ، ص 256 .

D. Harden, the Phoenicians, p. 134, fig. 37 (28)

. 29) أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص 77 .

P. Cintas, Manuel D'Archeo. Puinique, p. (30)

31) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، ص 285 — 288 .

B. H. Warmington, Carthage, pp. 22-23. (32)

الفصل الثالث

G. Contenau, la civilisation phenicienne, Payot, Paris, (1
1949, p. 223.

G. Contenau, Ibid, p. 224. (2

. 3) كتاب التوراة ، سفر الملوك الاول ، 5 : 1 — 18 .

. 4) فليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 . ص 150 .
أحمد: سوسة العرب واليهود في التاريخ ، ص 29 ، شكل رقم 22 .

G. Contenau, la civilisation phenicienne, p. 234. (5

Andre Parrot, Assur, Gallimard, Paris 1961, p. 8, fig. (6

A.P C. Harden, the Phoenicians, fig. 50.

. 7) فليب حتى . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 . ص 106 .
كانت دفة السفينة عند الفينيقيين في القديم توضع في شكل مجذافين
عربيضيين في مؤخرة السفينة ، أحدهما الى اليمين والاخر الى اليسار .

G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 234-235. (8

. 9) محمد كامل عياد . تاريخ اليونان . ج 1 الطبعة الاولى . دمشق
1966 ص 131 .

10) وجه القرطاجيون كل عنائهم الى الاسطول الحربي منذ بداية
القرن الخامس ق . م (480) عند اصطدامهم لأول مرة في معركة
هيميرا (Himera) في صقلية بالتحالف الاغريقي الغربي الذي كان يقوده
الطاغية جيلون حاكم مدينة سيراكونزا .

11) فليب حتى . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج 1 ، ص 108 —
110 —

. 12) كتاب التوراة ، سفر حزقيال ، 3 : 27 — 36 .

. 13) عبد الحميد زايد ، الشرق الحالى . ص 274 — 275 .

D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, (14
London 1963, p. 169, fig. 50.

The Cambridge Ancient History, Vols. (2), pp. 207-208. (15)
B. H. Warmington, Carriage, p. 46. (16)

أسست مستوطنة ماسيليا (مرسيليا حاليًا) في حوالي 600 ق. م من قبل الفوسين (Phocaen) وكان الهدف منها ربط الاتصال بيراكز المعادن في غربى أوربا ، على المحيط الاطلسي ، حيث كانت القوافل تطلق من ماسيليا عبر غاليا إلى شواطئ المحيط الاطلسي ، والجزر المنتشرة جنوب بريطانيا (كاسيتريتس) كورنوال ، للحصول على خامات القصدير . ونظرًا لأهمية هذه المدينة الاستراتيجية حاول الاتحاد الاتروسيكي الفنقي في القرن السادس ق. م الحيلولة دون وصول أعدائهم صقلية إلى ماسيليا .

17) هشام صفدي تاريخ الرومان الجزء الأول دار الفكر الحديث ، لبنان 1967 ، ص 55

S. Gsell, histoire ancien de l'Afrique, Tome 1, pp. (18) 510-511.

19) جون أــ هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف المصرية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 172 — (Ram) تعنى (رأس الكبش) وهي قطعة حديدية ناتئة في مقدمة السفينة تستعمل لضرب سفن الأعداء وقبتها

20) المرجع السابق ، ص 271 .

21) شارل أندريه جولييان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج 1 ، ترجمة محمد ميزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969 ، ص 97 .

22) جون أــ هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، ص 271 .
Gustave Fougeres, peuples et civilisation, histoire (23) generale, Felex Alcan, Paris 1926, pp. 228. 232.

24) يقصد بكلمة استراتيجية هنا ظهور الموانئ الحربية ، الفصل بينها وبين الموانئ التجارية ، ويحتمل أن تكون قرطاجة ، في غربى البحر

الابيض المتوسط هي أول مدينة عملت بهذا المبدأ.

G. Contenau la civilisation phenicienne, pp. 228-229. (25)

S.' Gsell, hist. ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, (26)
pp. 59-60.

27) القاطون ، يعني النحوت ، الكلمة مشتقة من فعل فقط ، ذلك لأن هذا الميناء تحته الفينيقيون داخل الصخور ، مما يدل على البراعة الفنية العالية التي كان يتمتع بها الفينيقيون ، ولمزيد من الإيضاح أنظر : Strabon, XVI, 23.

Strabon, XVII, 23. (28)

G. Contenau, la civilisation phenicienne, pp. 56-57. (29)

Strabon, II, 4 sec. 4. (30)

Diodorus, V, 16. (31)

32) فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ص 168 .

33) محمد كامل عياد تاريخ اليونان ، ج 1 ، ص 132 .

34) فليب حتي ، لبنان في التاريخ ترجمة أنيس فريحة ونيقولا زياده مؤسسة فرنكلين للطباعة ، بيروت 1859 ، ص 118 .

35) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة . 276 1966 ، ص

The Cambridge Ancient History, Vols. I, p. 504. (36)

Herodotus, VI, 47, pliny, nat. hist. VI, 56; Strabon. (37)

38) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج 3 ، ص 157 .

(39) Herodotus, II 49; V. 57. — تشير الاسطورة الى أن —

أجنور (Agenor) ملك فنيقيا كان قد أرسل ابنه قدموس للبحث عن شقيقته أوروبا (Europe) التي اختطفها الآلهة زفت (Zafis) من مرج على الساحل الفينيقي بعد أن وقع في حبها ، وفي كريت استعاد الآلهة زفت شكله الحقيقي ثم تزوج من أوروبا فأنجبت له الملك المشرع مينوس (Minos) ،

وتدكر أسطورة قدموس هذه الى أن أوربا القارة يمكن أن تكون أخذت
أسمها من اسم أوزبا (Europa) والدة الملك مينوس والتي تعني في اللغة
الفنيقية الغرب ولمزيد من الايضاح انظر فليب حي ، لبنان في التاريخ ،
ص 144 .

Warmington, Carthage, p. 36. (40)

(41) محمد السيد غلاب الساحل الفنيقى وظهرة ، دار العلم للملايين
Diodorus, sic. V, 35 §. 2. — 437 ، ص 1959 .

The Cambridge Ancient History Vols. 4, p. 347. (42)

B. H. Warmington, Carthage, p. 15. (43)

(44) شارل أندريله جوليان ، تاريخ افريقيا الشالية ، ج 1 ص 85 .
P. Cintas, Manuel D'Archeologie Punique, pp. 251-258. (45)

(46) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج ، 118 .
G. Conteau la civil, Phenici. pp. 56-57. (47)

(48) فليب حي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 111 .
Harden, the hoenicians, p. 171: Jean Mazel, avec les pheniciens, p. 164. (49)

كانت قادس أيضاً تمثل قاعدة لحامية المضيق من المنافسين ، يمكن
استنتاج ذلك من اسم قادس نفسه Cadir التي تعني بالفينيقية (قلعة
أو حصن) .

Warmington, Carthage, pp. 74-76. (50)

op. cit. pp. 42-43. (51)

Jacques Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale, Paris 1969, pp. 157-158. (52)

(53) هشام الصفدي ، نحو وعي آفضل لتاريخ الجزائر ، الاصالة .
العدد 8 ، ماي ، جوان ، الجزائر 1972 ، ص 270 .

Saluste, Bellum Jugurthinum, XVII, 4. (54)

B. H. Warmington, Carthage, p. 23. (55)

Op. Cit. pp. 23-24. (56)

- P. Cintaspp, Manu., D'Archeo, punique, p. 469. (57)
- Op. Cit. pp. 253-254. (58)
- (59) نظرية البوميرانغ (Boomerang) مأخوذة من سلاح — البوميرانغ الذي يرمي فيعود إلى قادره آلياً . ونشير إليه هنا كمقارنة وتبيان للحركة التجارية الفينيقية التي لا بد أن تعود فوائداتها إلى نقطة المراكز التي انطلقت منه لأول مرة (الساحل الفينيقي) . وقد عالج هذه الفكرة الدكتور هشام الصفدي في محاضراته في جامعة الجزائر 1972 — 73
- B. H. Warmington, Carthage, p. 29. (60)
- . (61) رشيد الناصوري ، المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 55 .
- D. Harden, the Phoenicians, p. 63; Jean Mazel avec les phéniciens, pp. 224-225. (62)
- P. Cintas, manu d'archeo. punique, p. 373-374. (63)
- D. Harden, the Phoenicians, fig. 23; P. Cintas Manuel D'Archeo. punique, pp. 378-382. (64)
- D. Harden, the Phoenicians, p. 101. (65)
- B. H. Wamnington, Carthage, p. 26. (66)

الفصل الرابع

1) سلطق مصطلح المغرب القديم بدلاً من شال افريقيا ، وذلك لتلاوته مع المفهوم الحديث للمنطقة .

- Diodore De Sicile, Tome V. 25. (2)
- Veleius Paterculus, hist. Rom., I, 2. 3. et suivre d'apres, (3)
- P. Cintas, manuel d'archeologie punique, Tome I, Editions A. et J. Picard, Paris, 1970, p. 253.
- S. Gsell, hist. ancienne, Tome I, p. 405. (4)
- Pomponius. Meia, d'apres, P. Cintas, M. d'archeo. pomponius punique, Tome I, p. 252. (5)

G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme civilisations an- (6
cienne dubassin mediterraneen, editions Albin Michel.

7) كتاب التوراة ، سفر الملوك الاول ، 10 : 22 — 23 .
Pline, Vols., IV, 120. (8

9) فليب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 110.
B. H. Warmington, Carthage, p. 33.. (10
S. Gsell, hist. anci. Tome, I, p. 409. (11
Donald Harden, the Phoenicians, Thames and Hud- (12
son, London. 1963, p. 63.

13) فليب حبي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج 1 ، ص 143
14) هشام الصفدي ، تاريخ الرومان الجزء الاول دار الفكر الحديث
لبنان ، 1967 ص 158 . الحاشية رقم 1 .

يعرف هذا النصب بحجر نورا ، هو موجود حالياً في متحف فالري
جزيره ساردينيا .

S. Gsell, histoire ancienne. Tome I , p. 410. (15
D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, (16
London, 1963, p. 63.

J.: Mazel; avec les pheniciens, Robert Laffont, Paris (17
1967, p. 227.

Thucydide, VI, 2. 6. (18

B. H. Warmington, Carthage, pp. 31-32. (19

S. Gsell, histoire ancienne, Tome I, p. 409. (20

S. Gsell, Ibid., p. 409. (21

B. H. Warmington, Carthage, p. 32. (22

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, (23
pp. 179-10.

. 91 . (24)
شارل أندرى جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ج 1 ، ص

- The Cambridge Ancient History, Vols. 4 Cambridge (25
University Press, 1964, p. 349.
- P. Cintas, Manuel d'Aarcheo. punique, p. 334. (26)
- Diodorus, Tome V, 12 secs. 2 - 4. (27)
- P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 246. (28)
- B. H. Warmington, Carthage, p. 77. (29)
- يعرف نهر ليكسوس حالياً بنهر درعا (Draa) (30)
- Strabon, XVII, 3.2.
- هناك أسطورة يونانية تذكر بأنه كانت (31)
توجد حول مدينة ليكسوس حديقة تحرسها الحواري ، وان الآلهة هرقل
(Hercules) كان قد حصل منها على التفاحات الذهبية .
- (32) أحمد المكتسي ، مدينة ليكسوس الاثرية ، دار كريمان ،
تطوان سنة 1961 ، ص 9 .
- P. Cintas, Manuel, D'Archeo. punique. p. 24. (33)
- J. Heurgon, Rome et la mediterranee occidentale (34)
presses universitaires de France, Paris 1969, pp. 136-
137, Strabon, 1.2.3. (35)
- Strabon, op. cit., III, 2, 14. (36)
- S. Gsell, Hist. ancienne Tome I, pp. 360-361. (37)
- P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, p. 238. (38)
- G. et C. Charles Picars, la vie quotidienne a Carthage, (39)
pp. 13-14.
- B. H. Warmington, Carthage, p. 26. (40)
- P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique, pp. 294-298. (41)
- B. H. Warmington, Carthage, p. 69. (42)
- G. et C. C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, (43)
Paris 1970, p. 292.
- (44) شارل أندرى جولييان ، تاريـخ افريقيـا الشـمالـية ، ج 1 ، ص
149 — من بين الموانيء الفنـيقـية التي كانت لها حرية الملاحة في الفترة

الرومانية الباكرة في المغرب نذكر إلى جانب أوتيكا حدر ومتلطة ورأس ديماس، وأشولة ثم تودالوس بالقرب من بنزرت.

(45) 2 ، 1، 3 (Strabon) — كان الفنيقيون لا يراغون في سفنهم التجارية السريعة بقدر ما كانوا يهتمون بسعة السفينة ونظرًا لأن هذه السفن كانت لا تعتمد إلا على الأشعة وغضارات المجدفين ، فإن المسافة التي كانت تقطعها السفينة في اليوم الواحد لا تتجاوز 30 ميلًا بحريًا ، وكانت التجار الفنيقيون يستريحون خلال الليل من عناء التجديف اليومي ، وعلى ذلك سميت المحطات التي كانوا يتزلون فيها (محطات الاستراحة).

غير أن الكثير من محطات الاستراحة المشار إليها انقلبت إلى محطات تجارية يلتقي فيها التجار الفنيقيون بالسكان المحليين للتبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المبادلة ، عندما توفرت لها الشروط الملائمة لذلك .

Salluste, Jugurtha, XIX, I. (46)

(47) بدأ العهد القرطاجي في بلاد المغرب منذ حوالي القرن السادس ق. م وبالنسبة اعتباراً من تأسيس مستوطنة إبليزا (Ibiza) في جزيرة الباليلار 554 ق. م.

Polybius, I, 82. (48)

B: H. Warmington, Carthage, p. 221. (49)

G: et C. Picard, vie quotidienne à Carthage, p. 221. (50)

G. et C. Ibid., p. 221. (51)

Polybius, I, 87, XV 5, 3. (52)

Polybius, Ibid, XV, 5. 3. (53)

(54) — كانت السفن الفينيقية أو القرطاجية القادمة من الشرق إلى مدينة قرطاجة تفرغ حمولتها في مدينة نابل عندما تعرّضها صعوبات اصطدام الأمواج التي تعيقها عن الدوران حول رأس بونتو والدخول إلى خليج تونس . ثم تحمل هذه البضائع بواسطة القوافل عن طريق البر إلى مدينة قرطاجة .

٥٥) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهريرة ، ص ٤٧٧

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome II, Hachette, Paris 1818, pp. 149-151.

كان القديس أو غيسطين، هو من مواليد مدينة ثاغيست (The Caste) سوق أهراس حاليًا، قد اتخد عنابة (Hippo-Rigius) أسقفية لنشر الدين المسيحي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس للميلاد.

B. H. Warmington, Carthage, p. 70. (57)

Miriam Astrug, revue africaine. Nov. - Dec. 1935, pp. 221, 253. (58)

S. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, Tome I, Feuille No. 7 Alger 1911. (59)

S. Gsell, Tome 2, pp. 159-160. (60)

S. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, Tome I, Feuille No. 5. (61)

B. Cintas, Rev. Africaine, (No. 91 - 92), 1948, pp. 276 - 279. (62)

P. J. Mesnagé, romanisation de l'Afrique, Gabriel Beauchesne éditeur, Paris 1913, pp. 17-19. (63)

B. H. Warmington, Carthage, p. 70. (64)

٦٥) شارل أندرزى جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج ١ ، ص ١٠٩
S. Gsell, Tome, (2), pp. 164-166. (66)

M. Ponsich, recherches archéologique à Tanger et dans sa région, ed. (C. N. R. S.) Paris 1970, pp. 67-68. (67)

. ٤٣٠) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهريرة ، ص ٤٣٠

الفصل الخامس

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome I, (1 p. 397.

P. Cintas, Manuel d'Archéologie punique, p. 126. (2

٣) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ج ٣ ،
ص ١٢٦ .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique, Tome I, p. 89. (4)

٥) بيرصة (Byrsa) : كلمة يونانية تعنى جلد الثور، واطلاقها هنا
يمكن أن يكون تحريفاً لكلمة بورصة (Boursa) الفениقية التي تعنى القلعة.

G. et C. Charles — Picard, la vie quotidienne a Car- (6)
thage, Hachette, Paris 1958, p. 24.

(7) Polybius, I, 73, 4-5. — كانت سبخة اريانة على البحر ولا
تحجبها كثبان رملية كما هو الحال اليوم ، لذلك لم يشر إليها بوليبوس
واعتبرها ضمن خليج تونس .

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (8)
pp. 26-30.

٩) شارل اندرى جوليا ، تاريخ افريقيا الشهالية ، ج ١ ص ١٠٧ ،

B.H. Warmington, Carthage, p. 141. (10)

M. Fantar, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, mai- (11)
son tunisienne de l'édition, 1970, p. 57.

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome. (12)
II, p. 39

op. cit. pp. 53-5. (13)

Archeologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 et Fev. (14)
1969, pp. 58-59.

B.H. Warmington, Carthage, p. 140. (15)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (16)
p. 35.

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a Carthage, (18)
pp. 33-34.

١٩) قارن بين ماوردفي :

1) Archeo. Vivante, Vols. I No. 2, Dec. 1968 Fev. 1969
I: p. 58.

2) Applan VIII, 117.

20) يحتمل أن يعود بناء سور مدينة قرطاجة ، إلى فترة التوسع التي تصادف القرن الخامس ق . م ولزيذ من الإيضاح أنظر :

B. H. Warmington Carthage pp. 140-141.

21) محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ص 124 - 128 .

22) فلبي حي ، تاريخ سوريا وفلسطين ، ج 1 ، ص 115-116 .

B. H. Warmington, Carthage, p. 151. (23)

اتبع الفنقييون والقرطاجيون طريقة المقاييس في علاقتهم التجارية مع شعوب غربي المتوسط ، وبقوا على ذلك حتى القرن الخامس ق . م حيث أخذوا عن الأغريق في صقلية سك العملة حسب العيار الإثني . أما مدينة قرطاجة فلم تضرب عملتها إلا في بداية القرن الرابع ق . م حيث أتيم معمل لسك العملة على هضبة بيرصة .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 478. (24)

Th. Mommsen, histoire Romaine, Tome III, pp. 7 - 12. (25)

G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne à Carthage, p. 180. (26)

op. cit. p. 176. (27)

P. Cintas, Manuel D'Archeo. punique. p. 433. (28)

Archologie Vivante, Vols. I No. 2 Dec. 1968 - Fev. 1969 pp. 37 - 38. (29)

C. Charles et C. Picard, vie et mort de Carthage, Hachette, Paris 1970, p. 292. (30)

المقصود بكلمة الرومان هنا مجلس الشيوخ الروماني .

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome IV, p. 3. (31)

Polybius I, 29 - 7. (32)

S. Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Tome III, pp. 27-29. (33)

M. Fanter, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, (34
pp. 139-141.

(35) هشام صفدي ، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ، مجلة الاصالة
العدد ماي - جوان 1972 ، ص 165 ،

B.H. Warmington, Carthage, p. 260. (36

الفهرس

3	مقدمة
الفصل الاول : البيئة والسكان	
7	أ . مقدمة جغرافية
8	ـ التكوين الارضي لساحل المتوسط الشرقي
11	ـ المناخ
11	ـ البروقة النباتية
12	ب . الفنيقيون في الشرق
15	ـ ممالك المدن الفينيقية
24	ج . الكتابة الفينيقية
25	ـ اللغة الفينيقية
الفصل الثاني : عوامل التوسيع الفينيقي في البحر المتوسط	
28	1 - العوامل السياسية
32	2 - العوامل الاقتصادية
33	3 - العوامل الاجتماعية

الفصل الثالث : التوسيع الفنيقي في غرب المتوسط

35	نشوء البحرية الفينيقية
36	أ - البحرية التجارية
38	ب - البحرية الحربية
41	ج - الموانئ
42	2 - مراحل التوسيع
44	أ - مرحلة الارتياح الباكرة
45	ب - مرحلة الاستيطان
46	ج - المشاكل التاريخية
47	- المصادر الكتابية
50	- المصادر المادية

الفصل الرابع : المستوطنات الفينيقية .

35	المستوطنات في شمال الحوض الغربي للمتوسط
53	2 - المستوطنات في المغرب القديم
58	أ - المستوطنات الباكرة
61	ب - المحطات التجارية
61	- شرقي قرطاجة
63	- غربي قرطاجة

الفصل الخامس : مستوطنة قرطاجة .

67	أ - تاريخ نشوء قرطاجة
67	ب - الوثائق الكتابية

69	- الوضع الطبوغرافي
71	بـ- النشاط الاقتصادي
71	- التجارة
72.	- الصناعة
73	- الزراعة
75.	خاتمة

فهرس هوامش الفصول

78	— الفصل الاول
82	— الفصل الثاني
85	الفصل الثالث
89.	— الفصل الرابع
93	— الفصل الخامس

فهرس خاص بالخرائط والمخططات الإيضاحية

9	— خريطة طبيعية وسياسية لساحل شرق المتوسط
21.	— مخطط مدينة صور
38.	— صور للمرأكب الفنيقية
54.	— خريطة التوسيع الفنيقية في الحوض الشمالي الغربي للمتوسط
55	— مخطط موقع مدينة قادس
60	— خريطة المستوطنات الفنيقية في المغرب
70	— مخطط مدينة قرطاجة في العهد الفنيري

قائمة المراجع العربية المعتمدة في البحث

- ١ - نجيب مخائيل ابراهيم مصر والشرق الادنى القديم الجزء
الثالث ، الطبعة الثالثة . دار المعارف ،
القاهرة 1966 .
- ٢ - رولاند اوليقر تاريخ افريقيا ، ترجمة عقبيلة محمد ود
رمضان الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة 1964 .
- ٣ - اندرى ايبار تاريخ الحضارات العام . المجلد الاول
والثاني . ترجمة يوسف أسعد داغر .
منشورات ، عويدات بيروت 1964 .
- ٤ - محمد سليمان ايوب جرمهة من تاريخ الحضارة الليبية ، الطبعة
الاولى دار المصري للطباعة والنشر
ليبيا 1969 .
- ٥ - طهه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .
الجزء الاول والثاني الطبعة الثانية ،
شركة التجارة والطباعة ، بغداد 1956 .
- ٦ - جيمس هنرى بربستد انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخرى
مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1962 .

- 7- عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ..
المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت 1956 .
- 8- ولد الحادر الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر الطبعة الاولى ، مطبعة الاديب البغدادية بغداد 1972 .
- 9- شارل اندرى جوليان تاريخ افريقيا الشهالية ، الجزء الاول ، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الدار القومية للنشر تونس 1969 .
- 10- فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة بيروت 1958 .
- 11- فيليب حتي لبنان في التاريخ ، ترجمة انيس فريحة ونيقولا زيادة مؤسسة فرانكلين للطباعة بيروت 1959 .
- 12- نسب وهيبة الخازن من الساميين الى العرب ، الجزء الاول ، مكتبة الحياة ، بيروت 1962 .
- 13- دريني خشبة اليادة هوميروس ، دار الهلال ، القاهرة 1970 .
- 14- محمد علي دبورز تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1964 .
- 15- محمد عزة دروزة تاريخ الجنس العربي ، المجلد الثاني
الجزء الرابع ، منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت 1960 .
- 16- محمد عزة دروزة تاريخ موجات الجنس العربي ، المكتبة

- العصيرية ، بيروت صيدا بدون تاريخ .
- 17- محمد عزة دروزة تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1969 .
- قصة الحضارة الاجزاء الاربعة الاولى ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة القاهرة 1965 .
- 18- ول دبورانت
- الشرق الحالم ، دار النهضة العربية القاهرة 1966 .
- 19- عبد الحميد زايد تاريخ العالم الجزءان الاول والثاني ، ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة 1963 .
- 20- جورج سارتون تاريخ العالمان الجزءان الاول والثاني ، دار الفكر الحديث ، لبنان 1967 .
- 21- هشام الصفدي مدينتي المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الاول ، الدار التونسية للنشر بسلامة تونس 1959 .
- 22- أحمد صقر جغرافية الوطن العربي ، الجزء الثاني معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968 .
- 23- محمد محمود الصياد قصة الكفاح بين روما وقرطاجة ، الطبعة الثالثة مكتبة مصر ، القاهرة 1955 .
- 24- توفيق الطويل روما والشرق الروماني في العهد الجمهوري حتى نهاية قصیر المطبعة الهاشمية ، دمشق 1959 .
- 25- عبد الحق سليم عادل معالم تاريخ الشرق الادنى القديم الجزء
- 26- عبد العزيز عثمان

الاول دار الفكر الحديث ، بيروت
. 1967

تاريخ اليونان ، الجزء الاول ، الطبعة
الاولى دمشق 1969 .

الساحل الفنلندي وظاهره ، دار العلوم
للملايين ، بيروت 1969 .

دراسات في تاريخ الشرق القديم مكتبة
الإنجليو مصرية ، القاهرة 1963 .

فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة
خائيل خوري ، بيروت 1959 .

يوجرفة ، الطبعة الاولى الدار التونسية
للنشر ، تونس 1970 .

الحضارة الفنلندية ، ترجمة محمد عبد
الهادي شعيرة ، شركة مركز كتب
الشرق الأوسط القاهرة 1948 .

هانبيال ، ترجمة رشاد الشني ، دار
الفكر العربي ، القاهرة 1962 .

موسوعة تاريخ العالم الجزء الاول ،
ترجم تحت اشراف محمد مصطفى
زيادة الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة
المصرية القاهرة 1959 .

شجرة الحضارة ، الجزءان الاول
والثاني ترجمة أحمد فخرى ، مكتبة
الإنجليز مصرية القاهرة 1958 .

29— محمد كامل عياد

30— محمد السيد غلاب

31— أحمد فخرى

32— هنري فرانكفورت

33— محمد فنظر

34— جورج كونتنو

35— هارولد لام

36— وليام لانجر

37— والف لتون

- 38— هـ . أ . مارو من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال بدران الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971 .
- 39— جورج مصر وعة هنبيعل الجزء الاول والثاني ، الطبعة الاولى دار الثقافة ، بيروت 1963 .
- 40— أحمد المكتابي مدينة ليكسوس الاثرية ، دار كريماidisn طوان 1961 .
- 41— أحمد المكتابي خريطة المغرب الاركيولوجية ، دار كريماidisn طوان 1961 .
- 42— موسكاتي الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر دار الكتاب العربي ، بيروت 1959 .
- 43— رشيد الناصوري المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول بيروت 1962 .
- 44— رشيد الناصوري المغرب الكبير ، الجزء الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1966 .
- 45— حاطوم نور الدين موجز تاريخ الحضارة الجزء الاول ، دمشق 1965 .
- 56— جون 10 . هامرتن تاريخ العالم المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف القاهرة بدون تاريخ ما وراء التاريخ أحمد ابو زيد دار النهضة المصرية القاهرة 1965 .

- 48— جون ويلسون الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١ .
- 49— هـ. جـ. ويلتر موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز
 توفيق جاويد ، مكتبة النهضة المصرية
 القاهرة ١٩٥٨ .
- 50— جيز . هـ. ويلز (الابن) جغرافية العالم الإقليمية ، الجزء الثاني
 ترجمة محمد حامد الطائي ، بيروت
 ١٩٦٥ .
- 1— الاصالة هشام الصندي ، نحو وعي افضل
 لتاريخ الجزائر ، العدد الثامن (ماي—
 جوان) ، الجزائر ١٩٧٢ .
- 2— الحوليات الاثرية السورية كلود شيفر ، نتائج موسم الحفريات
 التاسع عشر في رأس شمرا ، المجلد
 السابع ، القرآن الأول والثاني سوريا
 . ١٩٥٧ .

المراجع الأجنبية

1) المصادر :

- 1 - Apian, VIII, I.
- 2 - Ibid., VII, XVIII.
- 3 - Diodorius, sic., Volume V.
- 4 - Herodote, I, II, V, VI.
- 5 - Justin, Trogue Pompee, tome II,, livre XVIII, III.
- 6 - Pliny, naturel histoiry, Volume VI.
- 7 - Polybius, I.
- 8 - Pomponius Mela, d'après Picnitas, Manuel d'archéologie punique, tome I, Paris 1970.
- 9 - Salluste, Jugurtha, bellum Jugurthinum, XVII, XIX.
- 10 - Strabon, I, II, III, XIV,
- 11 - Thucydid IV, VI.
- 12 - Velleius Paetculus, Hist. 1, 2, 3 et suiv d'après P. Cintas
Manuel d'archéologie, tome I, Paris 1970.

2) المراجع :

- 1 - A Lezine, curthage Utique, Paris 1968.
- 2 - A. Barrot, assur.
- 3 - B. H. Warmington, carthage Pelican Books, London 1964.
- 4 - CH. A. Julien, histoire de l'afrique du Nord T. I. Paris 1951.
- 6 - C.F.A. Schaeffer, Mission de Ras Shamra, tome III, Paris 1939.
- 7 - D. Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, London, 1963.
- 8 - Encyclopedia Americana, Volume 21.
- 9 - Encyclopedia Britanica, Volume 17, G.S.S. 1968.
- 10 - G. Contenau, la civilisation phénicienne, Payot, Paris 1949.
- 11 - G. et C. Charles Picard, la vie quotidienne a carthage, Hachette, Paris 1970.
- 12 - G. et C. Charles Picard, vie et mort de carthage, Hachette, Paris 1978.
- 13 - G. Lilliu, H. Schubart et J. Thimme, Civilisations anciennes du bassin méditerranéen, Editions Albin Michel, Paris 1970.
- 14 - G. Fougeres, Peuples et civilisation. Histoire générale, Félix Alcan, Paris 1926.
- 15 - J. Heugon, Rome et la Méditerranée Occidentale, Paris 1970.
- 16 - J. Mazel, avec les phéniciens, Robert Laffont, Paris 1967.
- 17 - J.H. Breasted, Ancient Records, Vols. 3, 1906.

- 18 - Fanter, Carthage, la prestigieuse cite d'Elissa, maison tunisienne de l'édition, Tunis 1970.
- 19 - M. Ponsich, Recherches archéologiques à Tanger et dans sa Région, F. D.
- 20 - P. Cintas, Manuel d'Archéologie Punique, tome I.
- 21 - P. J. Manage, romanisation de l'Afrique, Gabriel Beauchesne Editeur, Paris 1913.
- 22 - P. Montet, Byblos et l'Egypte, tome XI Librairie Orientaliste, Paris 1928.
- 23 - P. Russel, peuples et civilisation, tome II, Félix Alcon, Paris 1928.
- 24 - R. Weill, La Phénicie et l'Asie occidentale, Armand Colin, Paris 1939.
- 25 - S. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, tome I, Algier 1911.
- 26 - S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique, tome I, II, III, IV.
- 27 - S. Moscati, Histoire et civilisation des peuples Sémitiques, Payot, Paris 1955.
- 28 - The Cambridge Ancient History, Volume I, II, III, IV. Cambridge University Press, London 1926.
- 29 - Thèse Mommsem, histoire Romaine, tome III, 1926.
- 30 - Titelive, Histoire Romaine, Paris 1832.

REVUES

- 1 - P. Cintas, *Revue Africaine*, (No. 91 - 91), 1948.
- 2 - Archéologie Vivante, Vols., I No. 2 Dec. 1968, Rev. 1969.
- 3 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archéologie Africaine) T. II. 1951.
- 4 - Karthago (Revue Trimestrielle d'Archéologie Africaine) T. V. 1954.
- 5 - M. Astrug, *Revue Africaine* — Nov. — Dec. 1935.
- 6 - Les cahiers de tunisie (Revue des sciences Humaines) T. XVIII No. 71/72 1970.
- 7 - T. A. Madhloum, *Sumer, A Journal of Archoeology History In Iraq*, Vol. XXIV — No. I — II — 1968.



الشكل م - ٤